إهداء عا م

إلى

متابعي الدكتور المهندس شحـ رور

راجياً أن لا تكونوا سبباً في طول حسابه

وإهداء خا ص

إلى

المتوفى سائلا المولى سبحانه

أن أكون أوفى الناس لك في تصحيح تراثـ ك

رُبع ساعة

في

فِكر شحرور

بسم الله الرحمن الرحيم

رُبع ساعة في فِكر شحرور

تأليف

د. صهيب سقار

RAWASEKH
رواسخ
دراسات • نشر • توزيع

ربع ساعة في فكر شحرور

د. صهيب السقار

رواسخ 2023

136 ص ؛ 23.5 سم.

الترقيم الدولي: 1 - 12 - 797 - 9921 - 978

الطبعة الأولى

1445 هـ – 2023 م

RAWASEKH

رواسخ

دراسات • نشر • توزيع

الكويـت – شـرق – شـارع أحمـد الجابـر – بـرج الجـاز

هاتـف: 0096522408686 - 0096522408787

0096590963369

RAWASEKH

رواسخ

دراسات • نشر • توزيع

- مركز غير ربحي مختص في معالجة القضايا الفكرية المعاصرة وفق أسس عقلية وعلمية منهجية.
- يسعى لإيجاد خطاب علمي مؤصل من خلال تأليف وترجمة الكتب والبحوث التأصيلية والحوارية.
- يُعنى بإقامة الدورات والندوات، وإنتاج المواد المرئية النوعية.
- يستهدف بخطابه المهتمين بالمعرفة من مختلف شرائح المجتمع.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١
أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ
ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا
يَعۡلَمُونَ ١٣ ﴾

(سورة البقرة 11 – 13)

المحتويات

مقدمة

تلقيتُ خبر وفاة الدكتور شحرور وأنا أستمع إلى محاضرة من محاضراته في باريس. كانت صدمة ألقتني في الفراش ليلةً من أطول الليالي. ما أصعب رحيل شخص قضيتُ عامين من عمري وأنا أطالع كتبه وأستمع إلى محاضراته وندواته. جذبني أسلوبه الدمشقي في الحديث حتى أني لا أعلم محاضرة ولا حواراً مصوراً منشوراً في الشبكة لم أستمع إليه.

وأخرجت سلسلة ناجحة في دراسة فكره صارت كالمرجع في المكتبة الإسلامية. وأصدرت اثنتي عشرة حلقة مصورة منشورة في المنصة الناجحة (رواسخ). ولكن أحد الأصدقاء فاجأني بطلب يقول: سأعطيك من الوقت ربع ساعة لتعطيني الزبدة من كل ما قرأت لشحرور وكل ما كتبت في مناقشته! انقضى ربع الساعة وأنا أستجمع في ذهني مجلدات قرأتها ومجلدات كتبتها طوال ثلاثة أعوام. فما أنفع أن تستخرج منها زبدة وتختزل في ربع ساعة.

ولذلك سميته (ربع ساعة مع شحرور) أو (زبدة القراءة المعاصرة في ربع ساعة) وبعد فراغي من قراءة فكره وتأليف كتب في الحوار والنقاش استحسنت أن أستمتع بربع ساعة ألخص فيها قراءته وقراءتي وأقدمها لكل من يحب أن ينتهي من هذه الجدلية.

منهجي في الكتاب:

من المعلوم في تاريخ الأفكار المؤثرة أنها لا تموت بموت صاحبها. وأن بقاء تأثيرها في الحياة الفكرية موقوف على اقتناع الفلاسفة والمفكرين بها ودفاعهم عنها. ومن الملاحظ أنه لم يظهر بعد وفاة المهندس من يجيب عن الإشكالات الكثيرة ويحل التناقضات الكبيرة التي نخرتْ في صُلب القراءة المعاصرة. والفئة الوحيدة التي نسمع لها صوتاً في الدفاع عن أفكاره هي صوت الناشطين في وسائل التواصل

الاجتماعي. ولا يكاد أحدهم يقدم دفاعاً إلا توجيه الاتهامات بسوء الفهم واجتزاء النقل.

ولذلك يتعين أن أصرح هنا بنقاط:

1 – أني لن أتوسع في إثبات صحة نقلي وفهمي في (ربع ساعة). يكفي هنا أن أحيل في الهامش إلى مواضع هذا التفصيل والإثبات في أصول هذا الكتاب من سلسلة نقدي للقراءة المعاصرة.

2 – لن أذكر الأدلة والنقاشات التي فصَّلتُها في السلسلة، وسأعتمد كثيراً في الرد على شحرور من كلام شحرور. وأكتفي أيضاً بالكشف عن تقصيره في إثبات قواعده وترْكِ الفراغات في أساسات منهجه. فكثيراً ما ينبي هذه الأساسات على دعاوي لا يقدم لها دليلاً واحداً!

والدَّعاوى ما لم يقيمُوا عليها * بيناتٍ أصحابُها أدعياءُ**

سؤال واعتراض: لماذا لم تنتقدوا الدكتور شحرور وتناظروه في حياته؟

انتظرتَ وفاة الدكتور شحرور ولم نسمع لك صوتاً يواجهه في حياته! فلماذا لم تناظروه في حياته؟

أولاً: (المواجهة) و(المناظرة) ألفاظ تذكرني بالمصارعة والعراك. ولا رغبة لي بشيء سوى الحوار.

كم تمنيت أن أحاوره في حياته، وقد طرقتُ الباب بمراسلته عبر منصات التواصل فأبلغني الاعتذار. وألححتُ بأني لا أطلب منه المناظرة ولا الحوار، كل ما هنالك أني وقفت على تناقضات وإشكالات أبحث لها عن حل. وأبلغته طَلَبَ الدكتور محمد العوضي ودعْوَتَه للحوار في قناة فضائية، لكن الدكتور شحرور عبَّر في كتبه عن منهجه ورأيه في عدم الالتفات إلى النقد[1] مستشهداً بقول القائل: «هل نقضي عُمُرنا في الدفاع عن قيثارتنا، أم في العزف عليها!». ثم يقول د.شحرور: (ومِنْ يَوْمِها قرَّرتُ أن أقضي العمر في العزْفِ، وليس في الدفاع).[2]

وبعد وفاته جرى حوار بيني وبين الدكتور طارق محمد شحرور على تويتر[3] وأعدت عليه الطلب، لكن يبدو أني مضطر إلى العزف على قيثارتي.

ثانياً: المهندس شحرور لم يثبت أنه قادر على مواجهة النقد من فرسانه الموافقين له في نقد الخطاب الديني. فكيف يواجه نقداً يُحسب على التراث والمؤسسات الدينية؟

فمن المعروف أن المهندس شحرور لم يستطع الإجابة عن النقد الحاد والجاد الذي فصَّله واستهدفه به الدكتور نصر أبو زيد. ولم يدفع شيئاً من اعتراضاته إلا باتهام

---

(1) https://2u.pw/ZshDEDH
أجابني بواسطة حساب باسم مكتبه الخاص.
(2) الدولة والمجتمع 32. طبعة دار الأهالي.
(3) https://2u.pw/3ABlBJM

الدكتور نصر بأنه لم يفهم كلامه! فأجابه نصْر وحَكَمَ على عباراته بأنها عبارات (ذاتُ طابعٍ إرهابيٍ خفيٍ) ويقول: (أما مسألة عَدَمِ فَهْمِيْ للكتاب فَهِيَ عبارةٌ تَقَعُ في منطقةٍ وسطى بين الهجومِ الشخصيِ والخلافِ المنهجيِ. وسأتجاوز عن الهجوم الشخصي في العبارة لأنها لا تَضُرُّ الشخصَ المخاطَب - بفتح الطاء - بِقَدْرِ ما تشير إلى ذهنية المخاطِب - بكسر الطاء - الذي يريد أن يُدَوِّرَ الحوار فقط طبقاً لِمَنْظُوْرِهِ المنهجي الذي يَتَمَثَّلُ ذِهْنِيّاً في عَقْلِ صاحبِ العبارةِ بالحقيقةِ المطلقةِ التي إما أَنَّكَ تَفْهَمُها وتُدْرِكُها، وإما أَنَّكَ تَجْهَلُهَا)[1]

ولا يخفى أن الاتهام بعدم الفهم أسلوب من أساليب الهروب الفلسفي. فالفكر والعبارات التي يقدمها المهندس لا تندرج في نظرية النسبية أو المعادلات الرياضية، وليس في أساليب المهندس شيء من الرقي والفخامة حتى يشترك جميع النقاد في عدم فهمه! والمفارقة الكبرى أنه كلما انتقد المهندس أحدٌ من الباحثين هاجمه أنصاره بالاتهام بعدم الفهم! ما هذه القراءة المعاصرة التي يفهمها العوام ويعجز عن فهمها مثل نصر حامد وغيره من النقاد؟!

(1) مقال عنوانه (المنهج النفعي في فهم النصوص الدينية)، مجلة الهلال، العدد 3، 1992، ص54 – 55.

هل ننطلق في هذا الانتقاد من مقاومة التجديد ورفْضِ إعادة النظر في التراث؟

قبول الجديد مبدأٌ لا يمكن أن يرفضه عاقل يُؤْمِنُ بأن عجائب القرآن وكنوزه لا تفنى ولا تنقضي. وإعادة النظر مبدأٌ وَسَّعَ القرآن حدوده في أرجاء الملكوت كله. قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ (سورة الأعراف 185) والحقيقة العلمية لا تخشى البحث وإعادة النظر.

لكن المهندس لم يقدم ما يدخل في باب التجديد. بل هو بنفسه وصف قراءته بأنها بديل وهدمٌ وتفكيك بكل ما تحمله هذه الأوصاف من معناها. وسوف نثبت شمول هذا الهدم والتفكيك من صريح كلامه، ثم نثبته عملياً من بداية أركان الإسلام إلى أركان العبادات وأساس الإحسان والقيم والأخلاق.

تصريحه بالهدم والنقض والاختراق الشامل لأركان الإسلام وثوابته

يصرح المهندس بأنه يَطْرَحُ بديلاً لم يسبقه إليه أحد! وأن هذا البديل يخترق التراث بجميع مذاهبه الفقهية والفكرية، وينسخه ويغني عنه فلا تبقى بعده حاجة حقيقية إلى شيء من كل المكتبة الإسلامية في جميع فروعها من كتب التفسير والفقه والحديث!

كل الكتب والمخطوطات التي نظرتَ إليها على رفوف الكتب مع كل المجلدات والمخطوطات التي غابت عن أنظارك ليس لها قيمة ويغنينا عنها فكر شحرور وجديده البديل!

أعلم أن هذه الدعوى من مبالغاتها تميل بالعقول نحو التشكيك بثبوتها عن المهندس ولذلك سأنقل طرفاً من عباراته الصريحة في نقاط.

1 - **في مقدمة كتابه تصريحٌ بالإسلام الجديد البديل!** (قد يصاب القارئ، بصدمة عند وصوله إلى النتيجة المعروضة...لأن هذه النتيجة تهدم التصور السائد في فهم الإسلام... وبعد قبول النتيجة قد يصاب القارئ بحيرة، لأن قبول هذه النتيجة يستوجب بالضرورة تقديم تصور جديد في فهم الإسلام.وقد أدرك الدكتور شحرور ذلك، فلم يترك القارئ في حيرة من أمره، بل قدم له التصور الجديد الذي يقترحه في فهم الإسلام).[1]

لا حاجة إلى التذكير بأن المقصود بـ(التصور السائد) هو التصور السائد عند جماهير المسلمين طوال القرون السابقة قبل بزوغ شمس القراءة المعاصرة.

هكذا بكل وضوح يتحدث عن هدْم التصور الذي توارثه الأمة كلها في جميع أجيالها السابقة والمعاصرة بكافة فِرَقِها ومذاهبها الفكرية والتشريعية. وبكل وضوح

(1) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 26.

يصرِّح أنه لا يُصَحِّحُ اجتهاداً في مسألة أو حُكْمٍ فقهيٍ. بل يُقدِّم تصوُّراً جديداً مقترحاً في فهم الإسلام!

2 – **المسلمون مأسورون لثوابت وعقائد يراها المهندس في نظره معكوسة تماما:**

أَلَّف المهندس كتاباً يفرق فيه بين إسلامنا وإسلامه! وسماه باسم واضح من عنوانه (الإسلام الأصل والصورة)! وقد بدأ المهندس أول حَرْفٍ في كتابه الأول بالتصريح للقراء بأن الصورة التي يراها معكوسة تماماً. ثم يقول (تبيّن لي بعد ربع قرن من البحث الدؤوب والتفكر الطويل والتأمل الواعي أننا نحن المسلمين مأسورون لمسلمات قد يكون بعضها معكوساً تماماً).[1]

3 – **المهندس يدعو إلى رَفْضِ تراثِ الأمة جملةً وتفصيلاً:**

(التراث) كلمةٌ جامعةٌ لمكتبة ضخمة وجهودٍ عظيمة متنوعةٍ بَذَلَها علماءُ العربِ والتركِ والفرسِ والعجمِ مِنْ مذاهب فكرية وفقيهة ولغوية لا يحيط بقدرها إلا الله.

لكن المهندس يكرر ويؤكد التعميم على التراث بلفظ (كل)، فيقول في محاضرة جنيف: (وأقول لكم بكل صراحة: كل ما ورد في الفقه الإسلامي كله لا علاقة له بالمصحف إطلاقاً).[2]

ويقول: (لا يوجد بِحُكْمِ الشريعة الفقهية الإسلامية أي شيء مطابقٌ للمصحف. لا يوجد. أقولها وأنا مطمئن).[3]

ويقول: (إننا بحاجةٍ إلى فقهٍ جديدٍ معاصر.. فإذا أردنا أن نخترق الفقه الإسلامي الموروث «الفقهاء الخمسة» وَجَبَ علينا إعطاء البديل، وهذا ما فعلناه في هذا الكتاب.) [4]

---

(1) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 29.

(2) الدقيقة 7:30. محاضرة جنيف منشورة بتاريخ 22 نوفمبر/ تشرين الثاني 2017. منشورة على قناته: https://youtu.be/Ih3Oos0XFKo

(3) انظر الجلسة الثانية في معهد العالم العربي في فرنسا الدقيقة 31: https://2u.pw/3lPA9TC

(4) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 32.

ويصرح بنسخ الفقه الإسلامي كله! ويصف اجتهاداته بأنها (ستكون بمثابة اجتهادات سنقوم من خلالها بنسخ كل الفقه التراثي المتعلق بهذه المواضيع).[1]

ثم ينتقل هذا الموقف السلبي إلى كل كتب أصول الفقه وينص على أنه لا بد من اختراق أصول الفقه (التي لا يمكن التطور والتقدم إلا باختراقها).[2]

ثم ينتقل إلى كل التفاسير الموجودة بين أيدينا فيقول:

(إِنَّ كُتُبَ التفسير لا تعني شيئاً بالنسبة إلينا من الناحية العلمية، وليس لها أي مصداقية).[3]

ويقول: (اطلعت على التفاسير ولم أجدها تفسر شيئاً...قرأت كتب التفسير ولم أجدها مقنعة...كُتُبُ التفسير فيها كل شيء إلا التفسير)[4]، ويقول:(أنا تجاوزتهم كلهم، لكن بعدما قرأْتُهم ووجدتُ أنه لا مجال)[5]

من الصعب حتى على مختص في التفسير أن يَدَّعِيَ أنه قَرَأَ كُتُبَ التفسير! لَكِنْ لِنَفْتَرِضْ أن المهندس قَرَأَ أَشْهَرَ كُتُبِ التفسير التي تزيد على 100 مجلد! لكن سيكون رأسي جمجمة عظام إذا كانت لا تفسر شيئاً! وكان كل ما فيها غير مقنع وفاقد للمصداقية!

في مقطع مصور ظهر الدكتور محمد العوضي في مكتبته وهو يضع مجلدات منها بين يديه ليحرقها تمثيلاً لمراد المهندس! ولكن فريقاً من المتابعين اعترضوا مطالبين بالموضوعية. وفي رأيي: الموضوعية تقتضي أن يعيد المجلدات إلى رفوف مكتبته وأن يحرق المكتبة كلها، لأن المهندس صرح بهذا المضمون فقال: (خمس سنوات وأنا أَدْرُسُ التراث حتى استطعتُ أن أُلْقِيَ بالتراث مِنْ فوق أكتافي. وأقول أنا لا أريد هذا التراث)[6]، وأشار إلى ضرورة الاقتداء به في إلقاء التراث كله فقال: (هنا قد

(1) أم الكتاب وتفصيلها، ص426.
(2) تجفيف منابع الإرهاب، ص 339.
(3) تجفيف منابع الإرهاب، ص316.
(4) النبأ العظيم، 1/ 32.
(5) النبأ العظيم، 1/ 49.
(6) انظر الجلسة الثانية في معهد العالم العربي في فرنسا، الدقيقة 31:
https://2u.pw/3IPA9TC

يسأل سائل: ماذا نفعل بكتب التراث من فقهٍ وتفاسير، التي يُطْبَعُ منها كل عام آلاف النسخ، وتُدَرَّسُ على أنها الإسلام؟ الجواب على هذا السؤال الصعب جداً هو أنني لم أستطع أن أُقَدِّمَ هذا الكتاب، وَأَصِلَ إلى النتائج المطروحة للقارئ، إلا بعد أن تَمَّ حَلُّ هذه المعضلة).[1]

افهموها، وحلوا معضلتكم. وإذا أردتم الانتفاع بهذه النتائج فاستغنوا عما طبعتم وما ستطبعون من كتب التراث.

4 - **يصرح بأنه اكتشف تزويراً هائلاً في الإسلام ككل!:**

فيقول (النتائج التي وصلت إليها تكشف تزويراً هائلاً في الإسلام ككل، وتحريفاً للرسالة التي نزلتْ على محمد ﷺ).[2]

لاحظ أنه لم يكتشف تزويراً محدوداً بل تزويراً هائلاً. ولم يكتشف تزويراً في كتاب ولا في حكم فقهي أو روايةٍ حديثيةٍ بل في الإسلام ككل وفي رسالة الإسلام نفسه!

مبدئياً: سألقي التراث كله، وأخرج من الإسلام المعكوس المزوَّر، وأنذر نفسي للدعوة إلى الإسلام الأصلي، ولكن بعدما أتحقق من الأدلة التي يليق بها أن تثبت هذه الاتهامات الواسعة.

(1) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 32.
(2) النبأ العظيم، 2/ 97.

سؤال واعتراض: لماذا تفتش عن أخطاء الرجل ولا تنصفه بذكر محاسنه وصوابه

والجواب:

أولاً: أنا أناقش الأفكار. ولا أتولى حساب الأشخاص، بل أفوض ذلك إلى الرب سبحانه.

أما المطالبة بالإنصاف وذكر المحاسن فلا بد من التفريق فيها بين البحث الفلسفي الفكري وكتب التاريخ والتراجم والتربية والأخلاق. فلو كنتُ مثلاً أجمع كتاباً في سيرة الدكتور وترجمته فمن الجناية والخيانة أن أُهمل محاسنه وصوابه. لكن المناقشة الفكرية لا علاقة لها بالحديث عن إتقانه في تدريس الهندسة وطيب أصله ولطفه في معاملة الناس وسحر حديثه والأنس بمجالسته ونحو ذلك.

حتى الصواب في اجتهاداته الفكرية ينبغي أن يوضع في موضعه من قراءته وفكره. فإذا انتهى المهندس المعماري من بناء بيت، ودفعه إلى لجنة تتحقق من إتقانه؛ فلا بد أن تبدأ اللجنة بالتحقق من متانة الأساس والأركان. فإذا توصلت من أول الأمر إلى فراغات واضطرابات في الأساس، وتصدع في الأركان؛ فلا يليق أن يُكتب في التقرير: لقد أحسن المعماري في اختيار نوع البلاط وورق الجدران! بل الأقرب أن يقال: لقد ضيع هذه المحاسن وأهدرها بوضعها في بناء تجب إزالته.

ثانياً: إذا كان سكوتنا عن محاسن اجتهاده مستغرَباً، فينبغي أن نذكر أن المهندس لم يسكت عن محاسن جميع الفقهاء والمفسرين كما سكتنا! بل أنكرها ولم يعترف لأحد من المفسرين والفقهاء بالصواب في مسألة واحدة. فإذا جاز أن تخلو جميع مؤلفات علماء الإسلام من صواب في مسألة؛ فلماذا يُستغرب سكوتنا عن اجتهاد مفكر واحد انحصر اجتهاده في مجلدات معدودة!

سؤال واعتراض: هل يشعر العلماء بأن المهندس كسر الاحتكار الكهنوتي لعلومهم؟

وهل يندفعون بمهاجمته لأنه يخالفهم في المنهج والفكر؟

سأفترض أنه قدَّم خطراً يكسر به احتكار العلماء للدين، وسأفترض أن النقاد ينطلقون من مبدأ كهنوتي في نقده، لكن هذا الاتهام المعلَّب لا يصلح في دفع الانتقادات الجادة الحادة التي نقضت القراءة المعاصرة. فالدكتور نصر حامد أبوزيد ليس تراثياً ولا كهنوتياً، بل هو رمز من أنصار الحداثة وَنَقْدِ الخطاب الديني. وقد صدر حكم قضائي بردته عام 1996م، ولكنْ لَمْ يَمْنَعْهُ انتماؤُه الفكريُ مِنْ توجيهِ انتقاداتٍ جديةٍ أزعجت المهندس ولم يستطع أن يدفع انتقاداً منها! واكتفى باتهام المنتقِد بأنه لم يفهم كلامه!

فهل يندفع بهذا الاتهام شيء من الأحكام التي توصل إليها وأثبتها المنتقِد. وألخص منها قوله: (كتاب الدكتور شحرور تعبيرٌ عن أزمة، لكنه تعبيٌر سلبيٌ عاكسٌ للأزمة. ولا يُقَدِّمُ حلاً لها[1]، ويُسَاهِمُ مساهمةً مباشرةً في تعميق الأزمة[2]، وهو تعبيرٌ عن العجز العقلي والكسل الذهني)[3]، وَيخْتِمُ بخلاصة جازمة حاسمة فيقول: (إن الكتاب في النهاية يكاد يُعْلِنُ عن إفلاس كل المشروعات التلفيقية. فالإسلام لن يَتَجَدَّدَ بالطلاء الزائفِ مِنْ هنا أو هناك).[4]

ربما يحقق اتهامي بالكهنوتية أثراً في زعزعة الثقة بنقدي في نفوس الجمهور، لكنه لن ينفع في تجاهل انتقادات نصر حامد! بل الكهنوتية حقاً أن نقدس رأياً نعجز عن الدفاع عنه بشيء سوى الهجوم على منتقديه باتهامات وصفها الماركسي نصر حامد بأنها (ذات طابع إرهابي).

(1) (المنهج النفعي في فهم النصوص الدينية)، مجلة الهلال، العدد 3، 1992، ص 59.
(2) النص، السلطة، الحقيقة، ص 141.
(3) مجلة الهلال، العدد 3، 1992، ص54 – 60.
(4) مجلة الهلال، العدد 10، عام 1991م، ص 21 – 22.

منهجي في اختيار المسائل التي أختارها في نقد فكره:

كثيرون يطلبون مني أن أناقش المهندس في مسائل يرونها من إبداعه وتجديده، ويعتبرون المسائل التي ناقشتها في السلسلة هامشية اجتهادية يمكن أن يقع كل مفكر بمثلها من دون أن يقدح ذلك في مشروعه ومنهجه وفكره وأصوله.

لكني لست مستعداً للتحاكم إلى القراء فيما يرونه هامشياً وما يرونه أصولاً وجوهراً. وقد وقع من قبلي بعض النقاد في مثل هذا الخطأ فرفض شحرور أن يقيم لنقدهم وزناً. وبرر ذلك بأنهم (فئةٌ تجاهَلَتْ تَجَاهُلَ العارف جوهرَ المنهج، واكتفتْ بالتعليق على الشكل.)[1]

ولهذا لن أنشغل بغير ما يصرح المهندس أنه من أصول منهجه وجوهر قراءته المعاصرة.

وسوف أبدأ بخلاصة أظهر فيها هذا الجوهر وتلك الأركان التي يتوهم بعض متابعيه أنها هامشيات.

(1) الدولة والمجتمع، 35.

تمهيدٌ وتعريفٌ بجوهر القراءة المعاصرة وأركانها

يتجاوز عُمُر القراءة المعاصرة في يومنا هذا أكثر من ثلاثين عاماً. تضاعفتْ في هذه السنوات مُخْرَجاتُها، وتنوعتْ مواضيعُها، وتشعَّبتْ مسائلُها. لكن جميع هذه المُخْرَجات يعود إلى جوهرها ورُكْنِها الأعظم، وهو التفريق بين (الكتاب) و(القرآن).

فبَعْدَ قرون عديدة اكتشف د.شحرور لأول مرة أن كتاب الله المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يشتمل على كتابين، أحدهما (الكتاب المحكم)، والآخر هو (القرآن).

لقد كانت صدمة كبيرة للمهندس حتى أنه أُصِيب بالرعب لما اكتشف هذا الاكتشاف!

فيقول: (ولا يمكن تصوُّر الرعب الذي أصابني عندما وقفتُ على الفرق بين الكتاب والقرآن)[1]. وقد بلَغَ به هذا الرعب أنه لم يَنَمْ طوال ستة أشهر![2]

فهذا الاكتشاف أوجب عليه إعادة النظر في فهْمِ دين الإسلام، بل أوجب عليه أن يقدم تصوراً جديداً بديلاً لدين الإسلام. بل أوجب عليه اختراق المذاهب الفكرية والفقهية كلها ليضع منهجاً جديداً لِفَهْمِ الكتابين اللذين توهمتْ الأمة أنهما كتاب واحد بلا فرق.

أما الكتاب الأول فاسمه (الكتاب المحكم)، ويشتمل على (آيات التشريع).

وأما الكتاب الآخر فهو (القرآن)، ويشتمل على الغيبيات التي يسميها (الأنباء).

وقد وَضَعَ لكل كتاب منهجاً خاصاً يغني عن أصول الفقه والتفسير.

أما الكتاب الأول: فلا بد أن نَنْزَعَ صلاحية الاجتهاد فيه من أيادي السادة الفقهاء لأن منهج الفقهاء يقوم على أساسٍ لا يفرق بين (الكتاب) و(القرآن).

والمنهج البديل المقترح يقوم على نظرية يسميها (تفصيل المحكم).

---

(1) النبأ العظيم، 1/ 50.

(2) حلقة 28، الدقيقة 29 من برنامج لعلهم يعقلون.

وخلاصة هذه النظرية أن آيات الأحكام تنقسم إلى نوعين (الآيات المحكمات) أي (المغلقات) التي أُغْلِقَ باب الاجتهاد فيها. والنوع الثاني آيات يُسَمِّيها (تفصيل المحكم). هذه الآيات هي التي تَدْخُلُ في ساحة الاجتهاد. والاجتهاد في حقيقته تفصيلٌ لهذه المحكمات. والمكلف بهذا التفصيل هو برلمانات العالم. أما السادة الفقهاء فينحصر دورهم في الوعظ فقط.

وأما الكتاب الثاني فهو (القرآن)

وهذا (القرآن) هو مجموعة قوانين الطبيعة العامة الصارمة الجازمة.

وإذا كانت حقيقة القرآن هي القوانين التي يَنْتَظِم بها الكون؛ فلا غرابة أن يدعو إلى سحب آيات (القرآن) فوراً من أيادي الفقهاء والمفسرين ليُحال تأويلها إلى علماء الطبيعيات والإلكترونيات والرياضيات والفلاسفة وكَانْتْ ودَارْوِنْ وهِيْجِل وأمثالهم.

هذا هو صُلْبُ القراءة المعاصرة وجوهرها وقاعدةُ مُخْرَجاتها وتطبيقاتها.

بيان الخطأ الهندسي القاتل في بناء هيكل القراءة المعاصرة على صورة هرم مقلوب:

يبْتدِئ الإنسان في سنِّ الطفولة التدريب العملي على البناء والتركيب في لعبة المستطيلات البلاستيكية الملونة. يُجرِّب أحدهم بناءَ هَرَم واسعِ القاعدة ثم يَرْتَفِعُ في درجاته، وكلما ارتفعتْ درجاتُه ضاقتْ لَبِناتُه. بهذه الصورة يكون الهرم ثابتاً واسعاً في قاعدته عَصِيَّاً على النقض والتهديم. لكنك لو خالفتَ هذه الهندسة في قواعد بناء الهرم وأعدَّتَ بناءَ هذا الهرم معكوساً فسوف تجعلُ قاعدة الهرم لَبِنَة واحدة، وهي اللَّبِنَةُ التي كانتْ رأس الهرم. ثم تستمر في قلْبِ البناء فتجعل ما كان تحت الرأس فوقه. وهكذا حتى ترى لَبِناتٍ كثيرات تَعْتَرِضُ في أعلى الهرم. وقد كانت هذه اللَّبِناتُ نفسها مطمئنة على الأرض في بناء المهندس والهَرم الصحيح. أما في هذا

الهَرَم المعكوس؛ فلا سبيل إلى الاطمئنان ودفْع احتمالات الانهدام. ولا ريب أن بناء الهَرَم معكوساً عَيْبٌ هندسي يُؤْذِنُ بانهدامه ذاتياً قبل أن تمتد إليه أيادي الدافعين.

العجيب في مثالنا هذا أن الدكتور المهندس هو الذي أخطأ هذا الخطأ في بناء القراءة المعاصرة.

فقد انطلق المهندس من قاعدة نفي الترادف، وبالغ في مكانة نفي الترادف حتى يبرِّر بناء الهرم على هذه القاعدة. ثم جَعَلَ يَرْتَفِعُ ويَبْنِي على (نفي الترادف) حَجَراً حَجَراً. كل حجر منها سيكون قاعدة لما فوقه. وقد أَوْصَلَهُ (نفيُ الترادف) إلى التفريق بين القرآن والكتاب. وبناءً على ذلك وضَعَ منهَجَه في فهْم القرآن، وصرَّح أنه (بدون هذا التفريق لا يمكن وضْعُ منهج عِلْمِي لِفَهْم الكتاب)[1] وهكذا يمضي في البناء، وكلما اهتدى إلى مسألة جعلها قاعدة ثم اجتهد في جَعْلِها أساساً، بل وأقام عليها أُسُسَاً ومنهجاً ومفتاحاً رئيسياً.[2]

تعيين الخطر الأكبر الذي يهدد حجر الأساس في تفريقه بين الكتاب والقرآن:

فهمنا مما سبق أن التصدع في قاعدة الهرم المقلوب يهدد بانهيار الهرم كله. فلنتحقق من متانة القاعدة التي أقام عليها رؤيته ومناهجه وفكره. وهي تفريقه بين (الكتاب) و(القرآن).

فأقول: نعم نحن نقول معك: (الكتاب غير القرآن). فالكتاب يُطلق عند جميع أهل اللسان على المكتوب. والقرآن يُطلق على (المقروء). فالآيات التي يشتمل عليها التنزيل الحكيم كله يُطلق عليها (الكتاب) بالنظر إلى وجودها مكتوبة بين الغلافين. وهذه الآيات نفسها يطلق عليها (القرآن) بالنظر إلى وجودها وتلاوتها وكونها مقروءة.

(1) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 131.
(2) انظر الكتاب الأول من سلسلة القراءة المعاصرة، ص 33 – 40.

لكن المهندس توهم أن نفي الترادف يوجب أن يُطلق كل اسم من الاسمين على بعض آيات التنزيل الحكيم. وتوهم أن إطلاق الاسمين يمنع أن يجتمعا في الدلالة على مسمى واحد يكون (كتاباً) و(قرآناً)! وهذا ليس مخالفاً لأنصار الترادف فحسب بل هو مخالف لأنصاره ونفاته معاً. بل فوق ذلك أنه مخالف للقرآن نفسه. فانظر إلى إطلاق الاسمين على مسمى واحد في قوله تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ (سورة الأحقاف 29-30)

وفي هذه الآية دلالة ظاهرة على أن إطلاق الاسمين لا يوجب أن يختص كل اسم منهما بآيات معينة لا يُطلق عليها الاسم الآخر، لأن الجن سمعوا شيئاً وحداً فقالوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا﴾ وقالوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا﴾ (سورة الجن 1).[1]

كنت أرجو أن ألقى المهندس قبل وفاته لأسأله، بل كنت أرجو أن ألقاه عام 1990 لما أصيب برعب منعه من النوم ستة أشهر بعد اكتشافه أن (الكتاب) غير (القرآن). كنت أرجو أن أسأله سؤالاً يزيل عنه الرعب وينبهه إلى خطر الانطلاق في بناء مشروع العمر على هذا الأساس المنهار!

سؤال يقول: ما المانع أن يكون (الكتاب) هو (القرآن) نفسه بالنظر إلى إطلاقهما على ذات واحدة؟ وما المانع في نفس الوقت أن يكون (الكتاب) غير (القرآن) بالنظر إلى اختلاف مفهوم المكتوب والمقروء؟

وهكذا في كل آية ادعى شحرور أنها من (الكتاب) نسأل عنها ونقول: ما المانع أن تكون من (القرآن) أيضاً بالنظر إلى ما سبق وثبت في القرآن نفسه وفي رأي من يثبت الترادف وينفيه؟

وبالعكس أيضاً في كل آية ادعى أنها من (القرآن) نسأل عنها ونقول: ما المانع أن تكون من (الكتاب) بالنظر إلى ما سبق؟

(1) توسعت في مناقشة إشكالات هذه المسألة في الكتاب الأول من السلسلة.

هذا السؤال يكشف عن الفراغ الكبير الخطير في قاعدة الهرم وأساس القراءة المعاصرة.

ومن المؤسف أن المهندس كان مصاباً بالرعب وامتناع النوم طوال ستة أشهر فانطلق في بناء مشروع العمر دون أن يتحقق من هذا الفراغ في أساس المشروع. ومن المؤسف أنه سيزداد خَطَر البناء على هذا الفراغ كلما ارتفع البناء فوقه.

وأحب هنا أن أستذكر الجدل الذي سبقت الإشارة إليه بين نقد الشكليات ونقد المنهج. فأنا ملتزم بما أوصى به المهندس منتقديه من ترك الشكليات والتركيز على المنهج والأصول.

ولن أستجيب لمتابع يريد مني أن أتجاهل هذا الفراغ والخطر في أساس المشروع لأنشغل بمناقشة الطوابق العليا والهامشيات! مع أني تجاهلت في السلسلة هذا الخطر وارتقيت وناقشت الأصول والأركان في كل طابق.

لكني هنا لا أملك إلا ربع ساعة أحدد فيها الأخطار والتحديات والأسئلة القاتلة التي تركها المهندس فراغاً يعجز عن جوابها أيتام القراءة المعاصرة من بعده.

وسوف أنتقل فيما تبقى من (ربع ساعة) لأحد الفراغات الكبرى في هذا المشروع.

الفراغ الخطير في تأسيس مفهوم (القرآن) الجديد على الخيال والرجم بالغيب[1]

سأفترض أن (القرآن) غير (الكتاب) بالمعنى الذي فهمه المهندس وبنى عليه.

وسوف أرتفع معه إلى الركن والطابق الثاني وهو تعيين هذا (القرآن) وتعريفه.

وبداية أذكر أن المسلمين جميعاً يعرِّفون (القرآن) بأنه كلام الله المنزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. لكن المهندس تجاوز هذا بعيداً، واخترق عالم الغيب، وارتقى إلى اللوح المحفوظ، فأعاد تعريف القرآن. وعلى عادته بدأ بتأسيس الوهم ثم انطلق يبني فوقه.

فقد بدأ من اعتقاده أن كلمات الله هي عين الموجودات أي الأشياء! وأن القرآن قوانين وأحداث كونية[2]! لكن جميع العقلاء يعلمون أن القوانين التي يسير بها الكون شيء، وكلام الله الذي أنزله على النبي شيءٌ آخر. لكن المهندس أصر على الخلط بينهما وجمعهما معاً في تعريف القرآن.[3]

لكن من أين أتى المهندس بهذا الشطر والركن في تعريف القرآن ومحتوياته[4]؟

والجواب من وحي اختصاص الهندسة والبرمجة.

انظر إلى آثار هذا الاختصاص في قوله: (إن القرآن المجيد في اللوح المحفوظ، وهو مجموعة قوانين الطبيعة العامة الصارمة الجازمة).[5]

وإذا تابعنا تعريفاته فسوف نرى تصوُّراً هو أقربُ ما يكون إلى تصوُّرِ مختصٍ في الهندسة الكهربائية أو البرمجة. فالدكتور يرى أن الله بَرْمَجَ القرآن المجيد في اللوح

(1) للتوسع في هذه المسألة؛ انظر الكتاب الأول من السلسلة، ص 504.
(2) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 77.
(3) انظر الكتاب الثالث من السلسلة. فقد خصصته لمناقشة (القرآن) في القراءة المعاصرة.
(4) توسعت في هذه المسألة في الكتاب الأول من السلسلة، ص 97.
(5) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 439.

المحفوظ (INFORMATION IN ACTION)! وهذا التصوُّرُ ترجمةٌ حرفيةٌ وفِعْلِيَةٌ لـ(اللوح المحفوظ) بأنه(*Control Panel*). هذا ما نَصَّ عليه حَرْفِيّاً.

ومِنْ وَحْيِ الهندسة الكهربائية يقول: (اسم الله الرحمن يُمَثِّلُ قوانين الربوبية «السيطرة والاستحكام والتوليد).[1]

وَمِنْ وَحْيِ الهندسة يُعَرِّفُ بالمصدر الذي أُوْحِيَ منه القرآن فيقول: (اللوح المحفوظ: هو برنامج القوانين الصارمة الناظمة للكون، هذا البرنامج لا ينفع فيه الدعاء ولا يتغير من أجل أحد.)[2]

وآيات القرآن تنقسم إلى نوعين، آيات (الرام) وآيات (الروم):

يقول د.شحرور: (نَنْظُرُ إلى بُنْيَةِ الحاسوب الإلكتروني، فالحاسوب يتألَّفُ من جزئين أساسيين: - الجزء الأول (ROM) (أي اقرأ فقط). وهي البُنْيَةُ الأساسية للحاسوب، عبارة عن دَارَاتٍ مُغْلَقَةٍ OP يُمْكِنُ معرفتها، ولا يمكن الدخول إليها ولا التصرف فيها، وهي الجزء الثابت من الحاسوب.

- الجزء الثاني (RAM) أي ذاكرة الدخول والتصرف والاستعمال والتسجيل.وهي الذاكرة الممكن الوصول إليها، وهي مناط التصرُّفِ مِنْ قِبَلِ مُسْتَعمِلي الحاسوب، ويمكن الدخول إليها بأي برنامج يريده المتصرِّف بالكمبيوتر: إحصائي، طبي، تسجيل أحداث إنسانية، هندسة، فلك، إلخ.. وهو الجزء المتغير من الحاسوب.

ومناط تصريف الإنسان المُبَرْمِج، لكن كل قوانين هذا الجزء المفتوح لا تخالف ولا تخرج عن قوانين الجزء الثابت الـ ROM. .

فإذا أَخَذْنَا آيات القرآن وحاولنا تصنيفها ضمن هذا المبدأ، نرى أن القرآن يحتوي على هذين النوعين، وهنا نميز بين آيات اللوح المحفوظ وآيات الإمام المبين).[3]

(1) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 277.
(2) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 80 - 81
(3) الدولة والمجتمع، دار الأهالي، ص 211

ولن نُعَكِّرَ صَفْوَ هذا الاعتقاد بِنَقْدٍ لغوي أو عِقْلِي. حَسْبُنَا أن ننظر إلى كتاب الله لنفتش فيه عن أرشيف الأحداث التاريخية والإنسانية الفردية والجماعية ومجموعة قوانين الطبيعة العامة!

ولا يخفى على عاقل أن هذا الخوض في ماهية القرآن رجْمٌ بالغيب وسباحة في الخيال تخالف حقيقة القرآن التي يعرفها العوام والعلماء والعرب والعجم. وأنه كلام الله المنزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. وحده المهندس تخيل أن القرآن هو القوانين والأرشيف ثم انطلق يخترع منهجاً بديلاً لتأويل هذا القرآن ومنهجاً بديلاً لإعجازه! ومنهجاً للتجديد والإصلاح.

وقديماً قالوا: ثبِّت العرش ثم انقشه. وينبغي أن يقال الآن: عَرِّفِ الجهاز ثم ابدأ بتشغيله أو إصلاحه. وما فعله المهندس يشبه ما فعله ساعاتي وضع العدسة المكبرة على عينة وغرز حافة مشرطه الدقيقة في النقطة التي تلتقي فيها الدائرة الزجاجية بالدائرة المعدنية تحتها. فافتضها وأخرج عقاربها وراح يصب الملامة على الجامدين التراثيين الذين فشلوا في إصلاحها. وانطلق يؤلف الكتب والمناهج في سبيل الانتفاع والتطوير والإصلاح. فما أطفأ همته إلا رجل أخبره أن الذي بين يديه بوصلة وليست ساعة! يا سيدي: القرآن بوصلة هداية ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٦﴾ (المائدة 16). هكذا يُعرِّف الرب سبحانه بكلامه، لكن المهندس يُعرِّفه بأنه القوانين التي تضبط وقت الشروق والزوال والغروب. ثبِّت العرش ثم انقشه.

سأفترض أن القرآن هو القوانين الناظمة للكون وأن البوصلة ساعة وأنتقل إلى الشطر والركن الثاني في كلام الله، وهو (الكتاب).

تناقضه في تأصيل الركن الثاني وهو (الكتاب المحكم)[1]

في نفس الخطأ وقع المهندس. وخالف النصح بضبط التعريف قبل النقش والإصلاح.

ولن أطيل هنا باضطرابه في تعريف هذا (الكتاب المحكم)، واضطرابه في تعريف (الآيات المحكمات) مرة يرى أنها جميع آيات التشريع والعبادات والأخلاق والمحرمات. وهذا يعني أنها أكثر من 500 آية قطعاً. لكن المهندس عاد إلى الاضطراب في تعريفها وعدها. ورأى أنها بعض آيات التشريع ثم اختلف في عدها. واستقر في آخر حياته على أنها تسع عشرة آية فقط! بدأت رحلته من آية المحكمات والمتشابهات في سورة آل عمران. واعتمد في استدلاله بالآية على أن معيار التفريق بين المحكمات والمتشابهات هو موضوع الآية!

وزعم أن الله هو الذي أطلق هذا الاسم على تسع عشرة آية!!

وهنا أصل الخطأ الذي يتعين أن نفصله في عنوان بارز.

(1) انظر الكتاب الثاني من السلسلة. وقد خصصته لمناقشة (الكتاب المحكم) في القراءة المعاصرة.

الفراغ الأخطر والإشكال الأكبر في تعيِيْنِ آيات التشريع أنها هي (الآيات المحكمات)

لم يُقَدِّمْ لنا المهندس دليلاً واحداً يُثْبِتُ به هذا التعيِيْن! ولكنه مع ذلك انطلق يبني فوق هذا الفراغ. فرفع فوقه أحد برجي القراءة المعاصرة. وأفرد فصلاً من فصول كتابه الأول لهذا الوهم. ثم أفرد كتاباً خاصاً في تفصيل المحكم! واخترع نظرية في طريقة الاجتهاد في آيات التشريع! واعتبرها بديلاً عن علم أصول الفقه كله!

لكن هذا البناء كله يتوقف مصيره على سؤال تجاهله المهندس وتركه فراغاً تحت هذا الأساس.

يقول هذا السؤال: لماذا سمَّى التنزيل الحكيم بعض آياته بالمحكمات؟ وما دليل تعيين آيات التشريع بأنها المقصودة بهذه التسمية دون غيرها من الآيات؟

ما الدليل الذي اعتمد عليه المهندس وجعل به موضوع الآيات معياراً لفرز الآيات المحكمات وتمييزها عن المتشابهات؟

ولو رَجَعْنَا إلى الآية من سورة آل عمران لم نَجِدْ فيها أثراً يدل على أن المعيار في التصنيف هو موضوع الآيات. بل نجد معياراً آخر في هذا التصنيف وهو التفاوت في وضوح الدلالة وخفائها. ولا نَجِدُ في القرآن أثراً يدل على هذا التعْيِيْن من قريب ولا من بعيد!

بل لا نجد أثراً يدل على اختصاص المحكمات بموضوع مغاير لما تختص به المتشابهات من مواضيع!

وإذا كنا قد قلنا من قبل (ثبت العرش ثم انقشه) فنقول هنا: ثبت ولادة المسمى ثم انقش اسمه. لا بل أثبت لنا أن والده هو الذي نقش اسمه وأنك مجرد ناقل.

ولا يمكن لأحد من الإنس والجن أن يثبت وجود هذا المسمى (تسع عشرة آية)، ولا أن يجد أثراً من قريب أو بعيد يدل على أن الله سَمَّى هذا المسمى الافتراضي (الآيات المحكمات)!

وبعد وفاة المهندس بقي هذا الفراغ يهدد بانهيار شطر القراءة المعاصرة. ويظهر الخلل في شطر رؤيته الجديدة التي ذكرها في عنوان كتابه (الكتاب والقرآن رؤية جديدة).

ومع أن هذا الفراغ وحده يؤذن بانهيار مشروعه. لكني سأفترض أن المهندس أحكم أساساته وأحسن في البناء عليها. وسأفترض أن الله سَمَّى هذه الآيات بهذا الاسم. سأفترض ذلك لكن أرجو أن تشاركوني العجب من تمايل المهندس واضطرابه بعد هذا البناء. فكل ما نرجو من المهندس أن يتماسك ويثبت على رأي في تعيين هذه الآيات المحكمات.

فلما بدأ المهندس بفرز آيات القرآن خلط خلطاً عجيباً في تعيين الآيات. وقد توسعنا في أمثلة هذه الخلط في السلسلة.

ونكتفي هنا بمثال واحد تمايل فيه المهندس أربع مرات في أربعة أقوال في تصنيف سورة التوبة.

اضطراب الدكتور في سورة التوبة ووصْفُها بأنها (محكمة)[1]:

وقع المهندس في ورطة كبيرة مع سورة التوبة. فهو يرى أن آيات الأحكام قابلة للتزوير! وأن الله أدخل بين آيات الأحكام (المحكمات) آيات من (القرآن) غير قابلة للتزوير حتى تمنع تزويرها وتكون بمثابة ختم التصديق على عصمتها وحفظها!

والمشكلة أنه نسي هذه النظرية وادعى أن سورة التوبة كلها محكمة!!.

فإذا كانت خالية مِنْ خَتْمِ التصديق فهذا يعني أنها تقبل التزوير! بل ينتفي دليل عدم وقوع التزوير فيها.

بهذا الإشكال اعترض نقاد القراءة المعاصرة على الطبعة الأولى. فانتبه الدكتور وحاول أن يستدرك بعد بضع سنين في الطبعة الثانية. لكنه واجه تحدياً كبيراً اصطدم فيه بأدلته التي أثبت بها رأيه الأول في سورة التوبة أنها (محكمة).

(1) توسعت في مناقشة المسألة في الكتاب الثاني، ص 90.

ولا يخفى أن انقلاب الرأي ليس عيباً ولا مستنكراً، إنما المستنكر أن يتقلب الإنسان في مسألة واحدة بين خمسة أقوال. في كل مرة يختار قولاً يثبته بأدلة ثم يترك هذا الرأي ويترك الجواب عن أدلته وينقلب إلى رأي آخر وأدلة أخرى تعارض رأيه الأول. ثم يكرر هذا الانقلاب وإهمال الأدلة مرة ثالثة ورابعة. وإلى يومنا هذا نقف على رأيه الأول وأدلته التي ذكرها فلا نعلم وجه جوابه عنها.

وسوف نرصد هذا التقلب في أقواله وأدلته.

القول الأول: (قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ .. ﴾ الآية. نرى أن هذه السورة المحكمة هي سورة التوبة).[1]

القول الثاني: بعد سنوات تخلص المهندس من رأيه السابق، ونفى أن يكون وصف السورة بأنها (محكمة) بالمعنى الاصطلاحي المقابل لـ (التشابه)! والعجيب أنه التفت إلى المفسرين واتهمهم بخطئه الأول! فقال: (...وذكروا أن هذا الإحكام مقابل للتشابه، وهذا غير مستقيم عندنا.. وهذه السورة، كما وصفها الله عز وجل، محكمة من ناحية بنيتها التركيبية، أي من حيث وحدة موضوعها، فهي أحادية الموضوع بغض النظر عن هذا الموضوع أهو من قبيل المحكم أم من المتشابه.)[2]

سنفترض أن المفسرين هم الذين وقعوا في الخطأ. وسنفترض أن رأيك الثاني هو الصواب، وأنك بريء من الخطأ الأول. لكن كل ما نرجوه أن تثبت على رأيك.

لكن الدكتور تأرجح رأيه وانقلب على هذا القول الثاني بعد صفحتين من نفس الكتاب. وعاد إلى تفسير وصف السورة بأنها (محكمة) بالمعنى المقابل للمتشابه! والعجيب في هذه المرة أنه ألقى بذنبه وتأرجحه على السورة نفسها! وهذا هو القول الثالث.

(1) الكتاب والقرآن، ط1، ص 118.
(2) أم الكتاب وتفصيلها، ص 150

القول الثالث: (فهذه السورة تأرجحتْ بين نطاق المحكم والمتشابه...وهذه السورة هي السورة الوحيدة من القصص المحمدي التي انتقلت بكاملها من نطاق المحكم إلى نطاق المتشابه).[1]

سأفترض أنك لم تتأرجح! وأن السورة هي التي تأرجحت فعلاً! فهل ستثبت على القول الثالث؟!

القول الرابع: تغير رأيه في آخر طبعات كتابه الأول (الكتاب والقرآن)! وأنكر أن يكون وصف السورة بأنها (محكمة) بالمعنى المذكور في الآية من سورة آل عمران!

يقول: (كلمة «محكمة» لا علاقة لها بالتقسيم الوارد في سورة آل عمران الذي يقسم آيات التنزيل الحكيم إلى محكم ومتشابه وتفصيل....لقد جاءت كلمة «محكمة» هنا بمعناها الأصلي في اللسان أي الإحكام المتماسك الواضح).[2]

القول الخامس: رجوعه إلى المعنى الأول في تفسير (المحكمة) ولكن مع إضافة تعليل جديد لمنع الاجتهاد فيها. والغريب أن هذا الرأي الرابع صدر في نفس العام الذي صدرت فيه الطبعة الأخيرة من كتابه الأول.. يقول: (والمقصود بـ (المحكمة) هنا أنها مغلقة كبقية الآيات المحكمات... فهي سورة مغلقة كلها غير قابلة للاجتهاد أو الزيادة أو النقصان، ولا علاقة لها بالتقسيم الوارد في المصحف).[3]

وبعد هذا الاضطراب هل يمكن أن يكون أحد هذا الأقوال صحيحاً يتعين علينا أن نقبله. ونتوقف في الأقوال الأخرى وتمضي القراءة المعاصرة في طريقها من دون أن تختل بهذا الاضطراب؟

والجواب بكل قطع ووضوح: أنه لا يمكن أن يكون أحد الأقوال صحيحاً. لأن المهندس انتقل إلى التطبيق العملي وقام بفرز آيات السورة. فأدخل 12 آية منها في قسم أم الكتاب وتفصيلها.[4]

(1) أم الكتاب وتفصيلها، ص 152.
(2) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 134 – 135.
(3) تجفيف منابع الإرهاب، ص 48. وانظر الدولة والمجتمع، ط 2018، ص 234.
(4) انظر أم الكتاب وتفصيلها، ص 444.

فلم يعد ممكناً أن نعد السورة محكمة كلها! ولا متشابهة كلها! ولا متأرجحة كلها! وليس هذا هو المثال الوحيد على اضطرابه وتناقضه في تعريف أقسام القرآن وفرز آياته. فقد وقفت على أمثلة كثيرة تظهر اضطرابه في ذلك، لكن المقام لا يتسع لجمعها في (ربع ساعة).[1]

لكن مرة أخرى سأفترض أن جميع ما سبق لا يزال أساساً ثابتاً لأنتقل إلى التطبيق والمنهج العملي الذي اخترعه المهندس بديلاً عن أصول الفقه كلها. وسماه (تفصيل المحكم). وقد سبقت الإشارة إلى هذه النظرية الجديدة.

ونتوقع أن الله منعنا من الاجتهاد في الآيات المغلقات وأننا سوف نجتهد في الآيات التي يسميها (تفصيل المحكم).

لكنّ للمهندس رأياً واضطرابًا آخر.

(1) توسعت في بيان أمثلة كثيرة في الكتاب الأول ص585 وص 231. والكتاب الثاني ص 408، وص 56.

اضطرابه في جهة الاختصاص بتفصيل المحكم[1]

هناك طرفة تقول إن أحد طلاب الفقهاء التقط من شيخه أنه إذا سئل عن مسألة بدأ بالجواب وقال: (فيها قولان). فلما تصدر الطالب قبل أن يتأهل سأله أحدهم: أفي الله شك؟ فقال (فيها قولان)!

وفي مسألتنا لا نتوقع أن يكون فيها قولان. لكنا مع ذلك سنردد عبارة الشيخ ونقول: الجهة التي تختص بتفصيل المحكم فيها قولان!

ولا يستند اختلاف القولين في تحديد صاحب الحق في تفصيل المحكم إلى دليل لغوي ولا فقهي. بل يختلف بحسب الجهة التي يميل إليها المهندس.

فإذا كان سياق حديثه عن اجتهاد الفقهاء في استنباط الأحكام فسوف تكون المواجهة قاسية عنيفة. وإذا انتقل إلى الحديث عن برلمانات العالم كلها تبدَّلَ الموقف وأصبح (تفصيل المحكم) عملاً تقوم به برلمانات العالم كلها.

فَلْنُفَصِّلْ هذين القولين في عنوانين:

القول الأول: الله فَصَّلَ المحكم تفصيلاً لا يترك أي مجال لِلَبْسٍ في دينه:

يرى المهندس أن الله لا يُعبد إلا بما أوضح في كتابه. ثم يقف موقفاً عنيفاً في وجه من يسميهم مرتزقة الدين الذي يريدون انتزاع شرعية الله منه. فيقول: (..من تمام العدل الإلهي أن لا يسمح بأن يُعْبَدَ إلا بما أوضح وبيَّنَ في كتابه حتى لا يترك أي مجالٍ لِلَّبْسِ في دينه، ويغلق الباب أمام الدجالين ومرتزقة الدين للعبث فيه والتلاعب بمصائر الناس بِأْخِذ شرعيتهم منه).[2]

وينصُّ على أن الله عز وجل لم ينتظر أحداً حتى يفصِّل لنا الآيات المحكمات بدلاً عنه، بل تكفَّلَ بهذه المهمة فيقول: (..فالله عز وجل لم ينتظر أحداً حتى يفصل لنا الآيات المحكمات بدلاً عنه. بل تكفل بهذه المهمة حتى يبين من جهة أنها محكمة،

---

(1) انظر الكتاب الثاني من سلسلة القراءة المعاصرة، ص 113.
(2) الدين والسلطة، ص 139.

وأنه لا اجتهاد فيها لأنه حتى تفصيلها ورد في التنزيل الحكيم، ومن جهة أخرى لا يمكن أن يمنعنا من الاجتهاد في مجموعة من النصوص ثم لا يفصلها لنا.) [1]

فإذا كان ذلك كذلك فلا ينبغي أن نتجاوز ما فصَّله الله ولم يترك مجالاً لِلَّبْسِ فيه. وإذا تكفل الله بتفصيل آيات فقد تكفل بهذه المهمة وكفى بالله كفيلاً.

لكن يبدو أن أصول الفقه والاجتهاد تَنْعَكِسُ بحسب حال المستهدفين. فإذا كان الفقهاء هم المستهدفون فإن أصول فقه القراءة المعاصرة تَسُد الأبواب في وجوههم. وتقول لهم: لا حاجة إلى تفصيل ما فصَّلَهُ الله. وإذا انتقل إلى برلمانات العالم كله انقلب سَدُّ الأبواب إلى فَتْحِها على مصاريعها! لا بل شَهِدَ لهم بأنهم يقومون بهذا التفصيل فعلاً. لا بل جَزَمَ بما هو فوق ذلك. فلنتحقق من هذا القول.

القول الثاني: الله فَصَّلَ المحكم وَتَرَكَ باب الاجتهاد مفتوحاً على مصراعيه:

يقول (الله وَضَعَ لنا المحكم وَوَضَعَ لنا التفصيل وقال: يا عبادي اشتغلوا بالتفصيل).[2]

ويقول:(قدَّم سبحانه وتعالى أحكاماً مجردة مجموعة في الآيات المحكمات، ثم فصَّلَهَا لنا أَحْسَنَ تفصيل، وَتَرَكَ باب الاجتهاد في التفصيل مفتوحاً على مصراعيه، كلٌّ يطبقها حسب ظروفه الموضوعية وأَرْضِيَّتِهِ المعرفية).[3]

إن هذا العبارة صادقة تدل بشكل قاطع على تَرْكِ باب الاجتهاد مفتوحاً على مصراعيه بحيث يطبقها كلٌ حسب ظروفه وأرضيته المعرفية. لكن السؤال الذي يتعيَّن علينا أن نُثِيْرَهُ ونفتش عن جوابه. من الذي تَرَكَ الباب مفتوحاً على مصراعيه في التطبيق حسب الظروف؟

أين نجد النص الذي قال فيه الله: « ياعبادي اشتغلوا بالتفصيل»؟!

لا ريب أن د.شحرور يَنْسِبُ إلى الله ما يريد أن يتوصل إليه من نتائج. فلم يقدِّم لنا دليلاً من كلام الله في تعيين المحكمات ولا في تعيين التفصيل، ولم يقدِّم لنا نَصّاً

(1) انظر أم الكتاب وتفصيلها، ص 186.
(2) النبأ العظيم، 1/ 146.
(3) أم الكتاب وتفصيلها، ص 184.

من كلام الله يُغْلِقُ ما أَغْلَقَهُ د.شحرور ولا نَصًّاً يفتح الباب على مصراعيه لبرلمانات العالم! كل ذلك يَصْدُرُ عن الدكتور بِعُلْوِيَّةٍ وآبائِيَّةٍ وتَحَكُّمٍ مُطْلَقٍ كأنه يُمْلِيْ دستوراً يُخْضِعُ له الرب والعبد.

ومن مظاهر هذه الآبائِيَّةِ العُلْوِيَّةِ توزيع شهاداته لبرلمانات العالم باتباع دستوره واستثناء المسلمين من اتباع رسالته التي يسميها (الرسالة المحمدية).

يقول: (هذه رسالته. كل أهل الأرض ماشون عليها –كل أهل الأرض – إلا نحن، إلا نحن – لسنا ماشين عليها)[1]، ويقول في مقام آخر: (في تفصيل المحكم يَشْتَغِلُ العالم كله، وكما نرى فإن الشريعة الإسلامية نَزَلَتْ وَطُبِّقَتْ بالأرض إلا عندنا).[2]

ويقرر هذه الشهادة للدولة العلمانية فيقول: (والدولة العلمانية الآن هي النموذج المعاصر في الاجتهاد في تفصيل المحكم من خلال مجالسها التشريعية وبرلماناتها عَلِمَتْ بذلك أمْ لَمْ تَعْلَمْ).[3]

ويُصَرِّحُ بأنه أول من شَهِدَ بهذه الشهادة لبرلمانات الأرض في كتاب الله. فيقول: (كل تشريعات العالم لا تخرج عن تفصيل المحكم...ما أَتَحَدَّثُ عنه الآن لم يَسْبِقْ لأحد أن رآه في كتاب الله، وهذه أول محاولة في هذا الاتجاه).[4]

ولا يَسَعُنَا أن نُغْلِقَ أفواهنا عَجَباً من هذا التباين والاضطراب.

فلا يَصِحُّ أن نَسُدَّ أبواب الاجتهاد في وجوه الباحثين العالمين بلغة العرب وأدوات الاجتهاد ثم نَشْهَدُ بتفصيل المحكم لبرلمان علماني يؤمن جُمْلَةٌ من أتباعه بالكتاب المقدس ولا يتحاكمون إليه! فكيف يجتهدون في نطاق تفصيلِ كتابٍ لا يؤمنون به؟!!

وما أعجب الشهادة لأهل الأرض بالسير على رسالة الإسلام وحدوده واستثناء المسلمين من ذلك!

(1) نشرها على قناته وعنوانها (محاضرة عمان، الأردن – 11/ 2008) https://2u.pw/vvkdTfd
(2) النبأ العظيم، 1/ 155.
(3) أم الكتاب وتفصيلها، ص 426.
(4) النبأ العظيم، 2/ 283.

لكن ينتهي العجب إذا علمنا أن الإسلام الذي يتحدث عنه المهندس هو الإسلام الأصل الذي يقابل إسلامنا الذي يسميه (الصورة). فعلاً (الدولة العلمانية الآن هي النموذج المعاصر في الاجتهاد في تفصيل المحكم) على المنهج والرؤية التي صرح المهندس نفسه أنه لم يَسْبِقْ لأحد أن رآها في كتاب الله. وحقاً نحن المسلمين لا نسير على هذا الرسالة التي يسميها (رسالة الإسلام).

وبكل وضوح نقول: إن خلاصة ما يريده المهندس من المسلمين أن يقتدوا بالغرب في (تفصيل المحكم) وأن يتركوا الفقه والفقهاء والتفسير والمفسرين. وأن يستغنوا عن ذلك كله بالفلاسفة الغربيين وتشريعات البرلمانات الغربية.

ربما يرى بعض القراء هذا تحليلاً واتهاماً خطيراً. لكني لا أستند فيه إلى تحليل. بل سأنقله بحروفه من صرح كلامه وتعريفه بغايته هذه.

الغاية الجوهرية التي وصل إليها بالتفريق بين (الكتاب) و(القرآن)

هذه الغاية الجوهرية هي الثمرة التي تُفَسِّرُ سبب تسمية الكتاب (الكتاب والقرآن رؤية جديدة).

هذه الغاية استهلكتْ مِنْ عُمُرِه عقوداً من البحث والتأليف. تتلخص هذه الغاية في إحالة تفصيل (الآيات المحكمة) إلى برلمانات العالم، يُفَصِّلُونها حتى وإن كانوا لا يعلمون أنهم يُفَصِّلُونها ولا يؤمنون بها ولم يقفوا على نصوصها!

وفي الوقت نفسه يُستَبْعَدُ الفقهاء ويُؤَخَّرُ اجتهادهم ويُضَيَّقُ عليهم اختصاصهم في اجتهاد محدود في الشعائر فقط.

وأما (الآيات المتشابهات) (القرآن) فيجب أن تُسْحَبَ فوراً من أيادي الفقهاء والمفسرين! فيقول:(علينا أن نَسْحَبَ القرآن - قبل أن يفوت الأوان - من أيدي السادة الوعاظ المعروفين بالعلماء الأفاضل، أو رجال الدين حيث يجب أن يكون موقف هؤلاء «العلماء الأفاضل» من القرآن هو كموقف العامة تماماً: التسليم، لأن معلوماتهم بالنسبة للقرآن لا تزيد عن معلومات العامة بتاتاً. وإن كان لهؤلاء الناس دورٌ فدوْرُهُم وعظيٌّ بحتٌ).[1].

هكذا يعبر عن هذا الهدف الحقيقي لمشروعه. أن يسحب القرآن قبل فوات الأوان من أيدي من سماهم (رجال الدين) (العلماء الأفاضل)، لأنهم في نَظَرِهِ وُعَّاظٌ فحسب، ويسوي بينهم وبين العوام تمام التسوية. والعلة التي أَوْجَبَتْ هذه التسوية زَعْمُهُ أن معلوماتهم بالنسبة لما يسميه (قرآناً) لا تزيد على معلومات العامة بتاتاً!

وهذه تسويةٌ عادلةٌ إِنْ ثَبَتَ أن (القرآن) هو مجموعة القوانين الفيزيائية التي ينتظم بها الكون كما زعم المهندس!

(1) الكتاب والقرآن، ط 1، 206.

ويصرح د.شحرور بتقديم الفلاسفة وعلماء الفضاء وتأخير الفقهاء فيقول: (... وهنا يجب أن نفهم أن الراسخين في العلم هم مجموعة كبار الفلاسفة، وعلماء الطبيعة، وأصل الإنسان، وأصل الكون، وعلماء الفضاء، وكبار علماء التاريخ مجتمعين. ولم نشترط لهذا الاجتماع حضور الفقهاء، لأنهم ليسوا معنيين – في رأينا – بهذه الآية، لأنهم أَهْلُ أُمِّ الكتاب. والراسخون في العلم مجتمعين يؤولون حسب أرضيتهم المعرفية، ويستنتجون النظريات الفلسفية والعلمية).[1]

كل هذه الأحكام والنتائج بناها على وَهْمِهِ في تعريف القرآن وتَصَوُّرِهِ وتشبيهه للكون بمشروع هندسي أو صناعي يُدار من لوحة التحكم هي اللوح المحفوظ، والقرآن برنامجه التشغيلي.

جدلية الشهادة لأولئك الراسخين بالإيمان:

من عجائب الجدل والتناقض أن يأتي بدليل في أول كلامه يشترط فيه إيمان الراسخين، وبعد سطور يَعُدُّ منهم إسحاق نيوتن، أينشتاين، تشارلز داروين، كانت، هيجل!

يقول: (...إن هؤلاء الراسخين في العلم هم بالضرورة من المؤمنين لأنهم يقولون:﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾... فالراسخون في العلم هم من الناس الذين يحتلون مكان الصدارة بين العلماء والفلاسفة، وهؤلاء من أمثال «البيروني، الحسن بن الهيثم، ابن رشد، إسحاق نيوتن، أينشتاين، تشارلز داروين، كانت، هيجل».)[2]

ويصرح بأنهم (مع النبيين مع محمد)[3]!!

ونترك هذه الجرأة والارتجال في شهادته بهذه المنزلة العالية في الجنة لِنَفَرٍ لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فأنى لهم أن يكونوا من أمته! وكيف لهم بجواره!

(1) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 220.
(2) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 221.
(3) https: / /2u.pw /6VyOrBq

ونتفق مع المهندس في أن هؤلاء الراسخين بالضرورة يجب أن يقولوا (آمنا به) ولكنا نعلم بالضرورة أن نيوتن وأنشتاين وداروين وأمثالهم من الراسخين لا يؤمنون به!

ويبدو أن المهندس لم يلاحظ الفرق بين شهادته لهم بالإيمان وشهادة الآية الكريمة للراسخين بالإيمان. والفرق بين الشهادتين ظاهر. فالآية الكريمة تشهد لهم بالإيمان (به) يعني بالكتاب كله محكمه ومتشابهه وأنه من عند ربهم. فهل عَلِمَ المهندس أن أحداً من المذكورين قالوا: آمنا به كل من عند ربنا؟!

استغناء القراءة المعاصرة
عن قواعد القراءة والهجاء[1]

في جميع المناهج يبدأ الصبيان بتعلم الهجاء والقراءة ثم يتدرجون من علم النحو إلى البلاغة ثم التفسير لكن المهندس وصل إلى التفسير، بل وصل إلى وضع المنهج البديل عن التفسير وهو لا يحسن القراءة! وقد اتفق جميع نقاد القراءة المعاصرة[2] على رَصْد جملةٍ من الأخطاء النحوية الفاحشة التي لا تُقبل من طالب في الابتدائية! ولا أَتَحَدَّثُ عن الأخطاء في أحكام التجويد، بل أَتَحَدَّثُ عن أخطاء في قراءة الآيات من نصٍّ مكتوبٍ أمامه!

أَتَحَدَّثُ عن رفْعِ المفعول به في قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ يعيدها مرتين (ورسولُه)!

أَتَحَدَّثُ عن نَصْبِ الخبر في قوله: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يعيدها مرتين!

وعن رَفْعِ الحال في قوله ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ يعيدها مرتين!

أتحدث عن نصْب الفاعل في قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ وقوله ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾ وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾[3]!!

أتحدث عن مثل هذه الأخطاء الفاحشة التي لا تفارق حديثه ولا يكاد يسلم منها في حوار ولا محاضرة![4].

وقد وجدت بعض متابعيه يدافع بحماس ويقول: اهتموا أنتم بالشكل والفتحة والضمة واتركوا شحرور يغوص في التدبر والدلالات والإعجاز!

---

(1) انظر الكتاب الأول من سلسلة القراءة المعاصرة، ص 356.
(2) بيضة الديك، ص 186.
(3) https://2u.pw/uGfmyFX
(4) https://youtu.be/SMTAhzgA5Hc

والجواب أنه لا يمكن أن تصل إلى الدلالة والإعجاز قبل أن تتقن النحو. فلا يمكن لأحد أن يتعلم الطب قبل التشريح، فكذلك لا يمكن لأحد أن يتعلم الدلالة والبلاغة قبل النحو!

فالنحو بالنسبة للبلاغة كالتشريح بالنسبة للطب. لست أنا الذي أشترط ذلك. ولن أنقل نصوص العلماء الذين يشترطونه. يكفيني أن أحتج على الدكتور شحرور بالنقل عن باحث قضى خمسين سنة من عمره في تدبر القرآن، وهو الدكتور شحرور نفسه. انظر إلى تعريفه بمنهجه ومنطلقاته وكيف أثبت العلاقة التكاملية بين النحو والبلاغة. فقال: (...وأَدْرَكْتُ أن البُنْيَةَ النحوية يرتبط بها خبرٌ بلاغيٌ بالضرورة، وأن النحو والبلاغة علمان متتامان لا ينفصلان عن بعضهما، وأن الفصل بينهما كالفصل بين علم التشريح وعلم الفيزيولوجيا «الوظائف» في الطب).[1]

لست أنا الذي أدعي أن فصل النحو عن الدلالة منهج عقيم. فالمهندس هو الذي عاب منهج تدريس اللغة العربية وَوَصَفَهُ بأنه منهج عقيم بسبب فَصْلِ النحو عن الدلالة. فقال: (عُقْمُ منهج تدريس اللغة العربية عندنا، الذي يَتِمُّ فيه فَصْلُ النحو والصرف والإعراب والقواعد عن الدلالة).[2]

نعم إنه لمنهج عقيم إذا فُصِلَ فيه النحو والإعراب عن الدلالة. وعلى من يلحن هذا اللحن الفاحش أن يعود لدراسة اللغة العربية على أهلها. لست أنا الذي أنصحه بذلك. ولكن ينصحه بذلك الدكتور شحرور الذي اعترض على مخالفيه في عَدَمِ تفريقهم بين المُحَرَّم والمحظور. وَوَصَفَهُم بأنهم (فقهاء الانترنت) ثم قال: (فَنَنْصَحُهُم بالعودة لدراسة اللغة العربية على أهلها).[3]

ويبدو أن انتقاده باللحن الفاحش ظل يلاحقه حتى اضطر إلى الجواب عنه في البرنامج الحواري الفضائي (لعلهم يعقلون). فَقَدْ وَضَعَهُ المُقَدِّمُ في مواجهة هذا

(1) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 48.
(2) نحو أصول فقه جديدة، ص 55.
(3) الإسلام أصل وصورة، ص 43.

الانتقاد وقال: (دَعْنِي يا دكتور أواجهك بجزئية. البعض يأخذ عليك أنك لا تجيد اللغة العربية تَحَدُّثاً وتَتَحَدَثُ بالعامية. فكيف تُفَسِّرُ هذا الكتاب العظيم؟

فأجاب: أنا دَرَسْتُ اللغة العربية كمنطقٍ ومعرفةٍ وَرَبْطِ جُمَلٍ بعضها ببعض وَرَبْطِ المعاني بعضها ببعض. أنا آخُذُ من النحو ما يفيد المعنى...

وما شَجَّعَنِي على عدم الكلام بالفصحى هو عبد القاهر الجرجاني!

فَقَدْ ذَكَرَ قصةَ أعرابي جاء من البادية إلى المدينة فَسَمِعَ المؤذِنَ يقول: (أشهد أن محمداً رسولَ الله)! فَوَقَفَ الأعرابي وانتظر المؤذن حتى نَزَلَ وسأل المؤذن: محمدٌ فَعَلَ ماذا؟

قلتُ لهم: لو أنهم لم يفهموا عليَّ حتى أتكلم بالفصحى لكنت حَكَيْتُ. هذا أكيد)!!![1]

هذا الجواب لا يدفع الإشكال! بل يزيده تعقيداً وتناقضاً.

وسوف أكتفي هنا باستشهاده بقصة الأعرابي على عَكْسِ مرادِ الجرجاني:

فالجرجاني استشهد بها لَيُثْبِتَ أن إبدال الضمة مكان الفتحة يَهْتِكُ النظم وَيَبْتُرُ الجملة وَيُسْقِطُ الفائدة من مفرداتها. فقال: (أترى الأعرابيّ حين سمع المؤذّن يقول: «أشهد أنّ محمداً رسولَ الله» بالنصب، فأنكر وقال: محمدٌ صنع ماذا؟)[2] ثم وضح أن الجملة لن تكون تامة حتى يأتي اسم مرفوع ليكون خبراً لاسم أنَّ. فإذا وضعت الضمة على (رسولُ الله) فهذا هو الخبر وقد تمت الجملة. لكن إذا وضعت الفتحة مكانها فمن حق الأعرابي أن يسأل: محمد صنع ماذا؟

بكل وضوح أقول: إن الاستشهاد بهذه القصة يقوم حجةً على المهندس فقد وقع مراراً في مثل خطأ المؤذن، كما قَدَّمْنَا في قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾. وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. والمهندس في هذه القصة إنما

(1) الحلقة 28، الدقيقة 31 من برنامج لعلهم يعقلون.
(2) دلائل الإعجاز، ص 266.

يؤدي دَوْرَ المؤذِّنِ الذي ارتقى مقاماً لم يتأهل له فوضع الفتحة مكان الضمة فأفسد المعنى والدلالة وهو يحسب أنه يدعو إلى الدين وشعائره!

وإذا كان خطأ المؤذن محصوراً في الأذان فإن المهندس استهدف الدين كله من أركانه إلى ثوابته وأحكامه ومحرماته وكبائره حتى رأى الإسلام كله معكوساً فاتهم عموم المسلمين بأنهم ينظرون إلى (الإسلام الصورة) وهو وحده ينظر إلى (الإسلام الأصل)!

إسقاط شطر الشهادتين من أركان الإسلام

وسوف نُقَدِّمُ اختصاراً توارثناه عن الأمة في بيان أركان الإسلام وفهم الدين إجمالاً. ثم نرصد الأركان التي حذفها المهندس من إسلامه الذي يعتبره (الإسلام الأصل).

أركان هذا الدين في تراث الأمة:

يتوارثُ المسلمون جيلاً عن جيلٍ تصوُّرَهُم عن دينهم. وَمِنْ أوائلِ ما يتلقى الصبيانُ مِنَ السُّنة المطهرة حديثُ جبريل عليه السلام في تعليم دين الإسلام وتَصَوُّرِ أركانه.

ويرى المسلمون في هذا الحديث حكمةً إلهيةً عظيمةً في اختيار هذا الأسلوب التمثيلي في التعليم. فقد اجتمعتْ دوافعُ جَذْبِ الأذهانِ والأبصارِ والأسماعِ لِتَرْصُدَ حَرَكَةَ هذا الزائرِ الغريبِ وتصرفاتِه وأسئلتِه العجيبة وتصحيح الإجابة عنها! وقد كان لهذا المشهدِ العجيبِ أثرٌ في توضيحِ هذا التصورِ والفهمِ الإجمالي لدينِ الإسلام.

وقد روى الإمام مسلمٌ هذا الحديثَ في أول صحيحِه بسندهِ عن عمر بن الخطاب قال: (بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إِذْ طَلَعَ علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثيابِ، شديدُ سوادِ الشعرِ، لا يُرى عليه أثرُ السفرِ، ولا يعرفُهُ مِنا أحدٌ، حتى جَلَسَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فَأَسنَدَ رُكبتيهِ إلى رُكبتيهِ، وَوَضَعَ كفيهِ على فخذيهِ.

وقال: يا محمد **أَخْبِرني عن الإسلام**، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيمَ الصلاة، وتؤتيَ الزكاة، وتصومَ رمضان، وتحجَ البيتَ إنِ استطعتَ إليه سبيلاً»، قال: صدقتَ، قال: فَعَجِبْنَا له يَسأَلُهُ، ويصدِّقُهُ،

قال: **فأخبرني عن الإيمان،** قال: «أن تؤمنَ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمنَ بالقدر خيره وشره»، قال: صدقتَ.

قال: **فأخبرني عن الإحسان،** قال: «أن تعبدَ الله كأنكَ تراه، فإن لم تكنْ تراهُ فإنه يراك»..

قال: ثم انطلقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثم قال لي: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمُكم دينَكم»).[1]

هكذا توارثت الأمة تعليم الدين من حديث جبريل عليه السلام.

فهذا الدين مُرَكَّبٌ من هذه الأسئلة الكبرى وأجوبتها.

ولا يختلفُ دينُ الإسلام عن غيره من الأديان في كونِ الاعتقادِ القلبيِ أصلاً تُبنى عليه التكاليف.

فالإيمان بوجودِ اللهِ ووحدانيتِهِ وملائكتهِ وكُتُبهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخرِ هو الأصلُ الذي يَنْتَقِلُ منه المسلم إلى العمل والقيام بالتكاليف المطلوبة في هذا الدين.

وعلى رَأْسِهَا إعلانُه بلسانِهِ ما استقر في قلبه من الإيمان بأنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ومِنْ ثَمَّ يقيمُ الصلاة ويؤتي الزكاة ويحجُ البيت إِنِ استطاع إليه سبيلاً.

هذا هو التصوُّرُ والفهمُ الإجماليُ لهذا الدين المشتمل على أركان الاعتقادات (الإيمان) وأركان العبادات (الإسلام).

ومن الضروري أن نُذَكِّرَ بِأَنَّ شيئاً من هذه الأركان لا يعتمد في إثبات رُكْنِيَّتَهَ على هذا الحديث. فالقرآن الكريم غني بإثبات هذا المطلوب كما سيأتي. ولكن هذا الحديث يستقل بعرض هذا الأسلوب الراقي في تعليم المسلمين وتفهيمهم لدين الإسلام إجمالاً.

إذا فهمنا أركان الإسلام فعلينا أن ننتقل إلى أركان ذلك (الإسلام الأصل).

---

(1) صحيح الإمام مسلم، 1/ 36.

أركان دين الإسلام في القراءة المعاصرة:

يختصر المهندس تَصَوُّرَهُ الجديد لدين الإسلام[1] فيقول: (التنزيل الحكيم يَضَعُ للإسلام أركاناً ثلاثة هي: - الإيمان تسليماً بوجود الله، - الإيمان تسليماً باليوم الآخر.. - العمل الصالح والإحسان).[2]

و يتحدث بكل صراحة عن إسقاط شطر الشهادتين وأركان العبادات كلها من دين الإسلام فيقول: (واكتشفنا أن ما تم تقديمه لنا على أنه أركان الإسلام غير صحيح، ولا يتطابق البتة مع التنزيل الحكيم. وأن الركن الصحيح من بينها هو ركن الشهادة الأولى (شهادة أن لا إله إلا الله)، أما الشهادة بأن محمداً رسول الله، وأما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، فهي من أركان الإيمان وليس من أركان الإسلام). [3]

إذن كل هذه الأركان لا تجب إلا علينا نحن المؤمنين بالنبي عليه الصلاة والسلام. أما البوذي والنصراني والمجوسي فلا تجب عليه صلاة ولا صوم ولا حج ولا زكاة! ولا يجب عليه الإيمان بالنبي ولا بالقرآن! بل لا يجب عليه الإيمان بأحد من الأنبياء أصلاً!!

يقول المهندس (الإسلام هو «الإيمان بالله واليوم الآخر».. ويدخل ضمن الفطرة فلا يحتاج إلى رسول أو نبي).[4]

وَصَرَّح بأنه يدخل في الإسلام مَنْ كَفَرَ باليهودية والنصرانية، بل أَدْخَلَ في الإسلام مَنْ يُنْكِرُ النبوات كالبوذية. فقال: (الإسلام هو التسليم بوجود الله، وباليوم الآخر، فإذا اقترن هذا التسليم بالإحسان والعمل الصالح، كان صاحبه مسلماً، سواء أكان من أتباع محمد (الذين آمنوا) أو من أتباع موسى (الذين هادوا) أو من أنصار عيسى

(1) توسعت في مناقشة هذه المسألة في الكتاب الأول، ص 451.
(2) الإسلام والإيمان، ص37.
(3) الإسلام والإيمان، ص 25.
(4) الإسلام والإيمان، ص 93.

(النصارى) أو من أي ملة أخرى غير هذه الملل الثلاث كالمجوسية والشيفية والبوذية (الصابئين)).[1]

ولا يخفى على أحد أن الديانة البوذية لا تختلف عن الديانات الهندية التي ينتشر فيها إنكار النبوات، وَتَقْتِصُر على الرياضة الروحية والتعليمات الأخلاقية، وتَبْتَعِدُ عن الخوض في الغيب.[2]

التنزيل الحكيم يوجب على عموم الناس الإيمان بالرسول والكتاب المنزَّل معه:

لا يخفى على مسلم أن القرآن مشحون بالآيات التي تدعو عموم الناس إلى الإيمان بالله ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام والكتاب الذي أنزل إليه.

من ذلك

1 - قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ ﴾

ولستُ أدري إنْ كان المُنْصِفُ يحتاج إلى توضيحِ دلالةٍ واضحةٍ في هذه الآية تدعو عموم الناس إلى الإيمان بالحق الذي جاء به الرسول. وتتوعدهم على الكفر به ولا تُقِرُّهُم على شَطْرِ الشهادة والاقتصار على الإيمان بالله، كما أقرَّهم د.شحرور على هذا الاقتصار.

وفي الآية دلالة قاطعة على أن الإيمان بالنبي ليس تكليفاً خاصاً بأتباع الملة المحمدية. بل هو تكليفٌ يدل على عمومه قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾.

فإذا كان د.شحرور يَشْهَدُ للمقتصرين على شَطْرِ الشهادتين بالانتماء إلى الإسلام، فإن في هذه الآية شهادةً عليهم بالكفر.

ويشهد لتكليف عموم الناس بالإيمان بالله ورسوله والقرآن آياتٌ كثيراتٌ منها:

(1) الإسلام والإيمان، ص 37، وانظر الإسلام الأصل والصورة، ص 53.
(2) انظر دراسات في الديانات الهندية، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؛ العدد 7، ص 168.

2 – قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

ولا يخفى على أحد وضوح دلالة هذه الآية على عالمية رسالة الإسلام ودعوة عموم الناس جميعاً إلى الإيمان بالنبي الأمي.

إيمان اليهود بالله واليوم الآخر لم يَعُدْ كافياً بعد بعثة عيسى عليه السلام:

شَهِدَ المهندس لليهود بأنهم مسلمون بتحقيق الأركان التي يراها لدين الإسلام (الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح)! لكن القرآن لم يكتفِ من اليهود بهذا. وَشَهِدَ عليهم بالكفر وَتَوَعَّدَهُم بالنار بعد بعثة عيسى عليه السلام وَكُفْرِهِم به. وقصر الشهادة بالإسلام على مَنْ آمَنَ به مِنْ بني إسرائيل. فقد ذكر القرآن على لسانه أنه بلغ بني إسرائيل ببعثته إليهم مصدقاً لما جاءهم به نبي الله موسى من قبله فقال: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾

ولا ريب أن دلالة هذه الآية واضحة قاطعة ومناقضة لشهادة المهندس لليهود بأنهم مسلمون بعد كُفرِهِم بعيسى عليه السلام، فكيف إذا أضافوا إلى ذلك الكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالكتاب والنور الذي أنزل معه؟!

وإذا كان المهندس يَتَوَجَّهُ بخطابٍ إلى اليهود والنصارى يُسْقِطُ عنهم وجوب الإيمان بالنبي وما أُنْزِلَ معه فهذا خطاب الله لبني إسرائيل صريحاً يأمرهم بالإيمان بما أنْزَلَهُ الله مصدقاً لِمَا معهم وَيَتَوَعَّدُهُم على الكفر به. قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ

أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾

ولو ذهبت أجمع الآيات التي تدل على أركان الإيمان التي أسقطها المهندس لطال الأمر. لكني وجدت قولاً لأحد العلماء يقطع ويحسم ويغني عن أي تطويل.

كيف لا وهو قول رجل اشتغل بالقرآن خمسين سنة. ولم يكن تراثياً ولا كهنوتياً. بل كان رجل القراءة المعاصرة الأول. وهو الدكتور شحرور. وسوف أترك له الحوار مع الدكتور شحرور الأول.

شحرور الأول: يقول الإيمان بالنبي والتكليف بالصلاة والصوم والزكاة والحج تكاليف خاطب الله بها المؤمنين بمحمد عليه الصلاة والسلام. ولذلك تجب عليهم دون غيرهم من المسلمين الذين لم يؤمنوا به.

لكم شحرور الثاني: سيقيم عليه الحجة ويقول له: ما دمت تعتبر أن توجيه الخطاب (يا أيها الذين آمنوا) يخص المؤمنين بالنبي. فالقرآن نفسه توجه بهذا الخطاب وأمر المخاطبين المؤمنين ب{الإيمان بالنبي والقرآن}.

يقول شحرور الثاني: (نبدأ القول في الإيمان، فنقرأ قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ ... ﴾ النساء 136،

وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ...﴾ الحديد 28،

وقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ... ﴾ محمد 2،

...ونلاحظ في الآيات الثلاث الأولى أن فِعْلَ «آمنوا» يتكرر مرتين في كل آية، فلماذا؟

ما معنى أن يخاطب الله تعالى الذين آمنوا، فيأمرهم بأن يؤمنوا بالله ورسوله، إلا إذا كان هؤلاء لم يؤمنوا بعد برسوله، والكتاب الذي نزل على رسوله؟

وما معنى أن يأمر الله تعالى الذين آمنوا بأن يتقوا الله ويؤمنوا برسوله.. إلا إذا كان المخاطبون ليسوا من المتقين، ولم يؤمنوا بعد برسوله؟

وما معنى أن يأمر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن يؤمنوا بما نزل على محمد.. إلا إذا كان هؤلاء لم يصدقوا بالرسالة المحمدية بعد؟

ولا نحتاج مع هذه الآيات إلى تَأَمُّلٍ كثيرٍ، لِرَبْطِ دلالاتها مع ما قلناه عن الإسلام والمسلمين.

فإذا فَهِمْنا أن الإسلام هو الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، فهمنا أن المقصود بالذين آمنوا في الآيات الثلاث هم الذين آمنوا بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، وأن الله يَطْلُبُ منهم أن يؤمنوا برسوله محمد وما نُزِّلَ على محمد).[1]

ولا أَمْلِكُ زيادةً على ما قال غير التذكير بتمام الآية التي حذَفَ منها شَطْرَها الذي يزيد تناقضه وضوحاً. فقد حَذَفَ د.شحرور آخرَ الآية، وهو نَصٌّ في عاقبة مَنْ تَرَكَ امتثال الأمر، وهو الحُكْمُ بِكُفْرِهِ. قال تعالى: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾. ولعلَّ د.شحرور حَذَفَ هذا الشطر لأن فيه إثباتَ أركان الإيمان نَصًّا.

هكذا يتناقض المهندس وهو يرى أنه يَهْدِمُ التصوُّرَ السائدَ لدينِ الإسلام. ويرى أنه يُمْكِنُهُ أن يُقَدِّمَ بديلاً يَسُدُّ مَسَدَّ جهود الأمة كلها، ليس في مسألة فرعية، بل في تَصَوُّرِ دِيْنِ الإسلام!

وأرى أن الوقوع في التناقض نتيجة حتمية لرجل يحسب أن أركان الإسلام تسقط بقراءة معاصرة!

(1) الإسلام والإيمان، 45 – 46.

ما كان ينبغي أن يَخْطُرَ ببالِ رجل درس الهندسة أن يتصور أن أركان دين الله تخفى على عموم المؤمنين طوال أربعة عشر قرنا!

في الأشهر الستة التي أصيب فيها بالرعب ولم ينم، ألم يخطر في باله أن يسأل نفسه فيقول:

إذا كان أهل الكتاب غير مطالبين بالإيمان بالنبي؛ فلماذا أمره القرآن بدعوتهم إلى الإيمان به؟

ألم يخطر بباله أن يسأل عن حكم رجل آمن بالنبي ثم ارتد وصار نصرانياً يؤمن بالله واليوم والآخر ويعمل الصالحات؟ هل يدخل الجنة أيضاً؟

وإذا جاز أن يدخل الجنة؛ فهل يمتنع أن يدخل جميع مَنْ ارتد مِثْلَ رَدَّتِهِ؟

ولو فرضنا أن جميع أتباع الملة المحمدية اقتنعوا بالقراءة المعاصرة فقرروا أن يتخففوا من الصلاة والزكاة والصوم التي تجب عليهم وحدهم فيصبحوا كاليهود أو النصارى، فهل يكفيهم إيمانهم بالله واليوم الآخر والعمل الصالح؟

وإذا كان يكفيهم؛ فما الحكمة مِنْ بِعْثَةِ هذا النبي الذي لا يَضُرُّ الكفر به، ويمكن أن يغني عنه الإيمان بمن سبقه؟

حتى شَرْعُهُ يمكن الاستغناء عنه! بل حَصَلَ استغناء أهل الأرض عنه فعلاً. فَمُعْظَمُ برلمانات العالم تطبق رسالته من دون أن يعلموا!، ومعظم أهل الأرض سيدخلون الجنة ولو لم يؤمنوا به!

أسئلة لم تخطر بباله لأنه أبعد ما يكون عن فكر مهندس بنّاء. وأقرب ما يكون إلى مهندس هدم وتفكيك يألف الوقوف على الأنقاض والتناقضات. ولكن الحقيقة أنها أنقاض قراءته المعاصرة.

وسوف أنتقل إلى ركن من أركان الإيمان أسقطه ثم تناقض أيضاً ووقف على أنقاض قراءته.

إنكار علم اللّه القديم بأفعال العباد وتشبيهه بعلم المهندسين[1]

من أركان الإيمان أن نؤمن بكمال عِلْمِ الله تعالى وإحاطتِهِ بالحاضر والماضي والمستقبل. وقد ثَبَتَ هذا الاعتقاد بجملة من الآيات المُحْكَمَات. ولَكن المهندس لا يؤمن بما نؤمن به! ولا يعترف بأركان إيماننا بل يصرح بأنها مُسَلَّمَات عقائدية قرآنية معاكسة للحقيقة[2] ولا تَمُتُّ إلى القرآن بصلة! وليست أكثر من مجرد أوهامٍ وتفكيرٍ خرافيٍ وَهْمِيٍ![3]

يقول: (وإذا أردنا أن نُعَرِّفَ عِلْمَ الله في الأشياء فهو عِلْمٌ رياضي بَحْتٌ، أي في عِلْمِ الله لا يوجد أصفر فاتح وأصفر غامق، وتفاحة كبيرة وتفاحة صغيرة. ولكنها في عِلْمِهِ كلها علاقاتٌ رياضيةٌ عدديةٌ بحتةٌ).[4]

لا ريب أن نفي العلم بوجود تفاحة بيضاء يعني إثباتَ الجهل بلون التفاحة التي نعلم نحن أنها صفراء!

ويكفينا في إبطال هذا الاعتقاد أنه معارِضٌ لما لا يخفى على مسلم من آيات القرآن الكريم.

فإذا كان الله لا يعلم بوجود تفاحة صغيرة وتفاحة كبيرة فأين نذهب بالآيات المحكمات التي تدل دلالة ظاهرة على سعة عِلْمِ الله تبارك وتعالى وأنه أحاط بكل شيء عِلْمَاً؟

ولم يَعْهَدْ جماهير المؤمنين بالله طوال قرون من الزمان أن عِلْمَ الله رياضيٌ تجريديٌ بحت!

(1) توسعت في مناقشة هذه المسألة في الكتاب الأول، ص 393.
(2) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 29.
(3) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 91.
(4) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 420 – 422.

ولا أعلم أحداً من اليهود أو النصارى وغيرهم من أتباع الوحي السماوي يَصِفُ عِلْمَ الله بأنه عِلمٌ رَقَمِيٌ (digital)!!

يقول د.شحرور: (المعرفة الرقمية (digital) أرقى أنواع المعرفة... بمعنى: في معرفة رب العالمين لا يوجد أصفر فاتح أو أصفر غامق أو أصفر كذا، هناك معادلة لكل الأصفر، وانتهى. كله موجود «رقمياً»).[1]

دليل هذا الاعتقاد الباطل قياسُ عِلْم الخالق الأزلي على عِلْم المهندس:

رَأَيْنَا مِنْ قبل كيف اعتمد المهندس على مثال الحاسوب المتكون من الـ (ram) و(rom) في تكوين اعتقاده في عِلْم الله واللوح المحفوظ. وفي هذه المسألة يمكننا أن نقول تحديداً إنه اعتمد على قياس عِلْم الله على عِلْمه بالرياضيات.

يقول المهندس: (...وَعِلْمهُ رياضيٌ، لأن الرياضيات اليوم هي أرقى أنواع العلوم، ولو تَوَصَّلَ العقل الإنساني «المصوغ من روح الله» إلى عِلْم هو أرقى من الرياضيات وسمَّيْناهُ العلم (س) ثم وجدنا في القرآن إشارة لذلك كانت تخفى علينا، أو كنا نؤولها تأويلاً آخر لِجَهْلِنا بالعلم (س) لَقُلْنَا إنَّ عِلْمَهُ جل وعلا عِلْمٌ سِيْنِيٌّ...).[2]

وَصَرَّحَ المهندس بقياس عِلْم الله على تخزين المعلومات في الهاتف الجوَّال!

وقال: (عِلْمُ الله عَدَدِيٌّ (digital) «رقمي» (وأحصى كل شيء عدداً) و(كل شيء عنده بمقدار) الكلام ليس من عندي، صِرْنا نفْهَمُهَا، أَنْتَ لديكَ المصحفُ مُخَزَّنٌ بالهاتف الجوال..مُخَزَّنٌ تخزيناً رقيماً..التحويل من رقمي (digital) للغةٍ مفهومةٍ هذا هو الجعل ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾).[3]

ولا ريب أن دليله في إثبات هذا العلم هو قياس الغائب على الشاهد. بل هو قياس علْم الله على علْم د.شحرور واختصاصه الرياضي.

(1) النبأ العظيم، 1/ 333.
(2) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 422.
(3) النبأ العظيم، 1/ 232.

ويكفينا هنا أن نشير إلى تناقض المهندس فهو بنفسه يحكم ببطلان دليل قياس الغائب على الشاهد ويقول: (إن قياس الشاهد على الغائب هو قياسٌ باطلٌ وَمُجْحِفٌ.)[1]

(1) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 624

إنكاره ركن الإيمان بالقدر ووصفه بأنه كوميديا إلهية[1]

لما تحدث المهندس عن الثوابت التي ظهر له أنها معكوسة ضرب لها مثلاً، وهو اعتقاد المسلمين بإثباتِ عِلْمِ الأزلي بما سيفعله المكلفون. فالمسلمون يعتقدون أن الله عَلِمَ في الأزل أن أبا بكر مثلاً سيختار الإيمان، وأن أبا لهب مثلاً سيختار الكفر. ومثل ذلك يقال في عموم المكلفين. وهذا الاعتقاد ركن من أركان الإيمان الستة. وهو الإيمان بالقدر.

لكن د.شحرور يُنْكِرُ عِلْمَ الله السابق ويرى أن هذا الاعتقاد يجعل الحياة نوعاً من الكوميديا الإلهية وأفلام الصور المتحركة يُدَيْرُها الذي صَمَّمَها «أفلام كرتون»!

يقول: (لو كان يدخل في عِلْم الله منذ الأزل ماذا سيفعل زيد في حياته الواعية؟ وما هي الخيارات التي سيختارها زيد منذ أن يصبح قادراً على الاختيار إلى أن يموت؟ فالسؤال لماذا تَرَكَهُ إذا كان يعلم ذلك؟

هنا من أجل تبرير هذا الأمر ندخل في اللف والدوران، فنقول: إن الله عَلِمَ منذ الأزل أن أبا لهبً سيكون كافراً، وأن أبا بكر الصديق سيكون مؤمناً. ثم نقول إن أبا لهب اختار لنفسه الكفر وأبو بكر اختار لنفسه الإيمان. إن هذا الطرح لا يترك للخيار الإنساني الواعي معنىً، وإنما يجعله ضَرْبَاً من الكوميديا الإلهية مهما حاولنا تبرير ذلك)[2].

وإذا كان هذا الاعتقاد من الثوابت وأركان الإيمان فلا يُتصور أنه قام على دليل أو دليلين كحال أركان القراءة المعاصرة. فهناك جملة من الآيات القطعية والأحاديث الصحيحة لا يتسع المقام لذكرها. لكن سأكتفي منها بأمثلة:

(1) توسعت في مناقشة هذه المسألة في الكتاب الأول، ص 419.
(2) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 422.

آيات تَقْطَعُ بِعِلْمِ الله القديم بأفعال العباد وأهل الجنة والنار:

1 - أخبر القرآنَ عن قوم نوح أنه لن يؤمن منهم في المستقبل إلا من كان قد آمَنَ مِنْ قَبلُ.

قال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (هود 36). وفي هذه الآية دلالة ظاهرة قاطعة تُثْبِتُ علم الله بأنه لن يؤمن إلا من قد آمن. وفي آية أخرى تنصيصٌ صريحٌ على سَبْقِ القول الإلهي بهلاك الباقين.

2 - قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾

3 - قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾

4 - قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

5 - قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾

وفي هذه الآيات دلالة ظاهرة على سَبْقِ الكلمة الربانية بنجاة الناجين وتعذيب الهالكين.

أكتفي بهذا القدر لأنتقل إلى ما اعتدنا أنه دليل يقطع ويحسم. وهو قول الدكتور شحرور الثاني.

وقوع د.شحرور في الأمر الذي هَرَبَ منه، وهو كتابة الكفر على المكلف

من العجيب سخرية د.شحرور من اعتقاد المسلمين وَوَصْفِهِ بأنه كوميديا إلهية!

لكنه في نهاية الأمر نقض اعتقاده ووقع فيما نفاه. فقال شحرور الثاني: (عندما اتخذ أبو جهل هذا الموقف تَمَّ تصنيفه ضِمْنَ هذه الزمرة «أي تمت كتابة الكفر عليه».)

فَمَعَ صَرْفِ النظر عن الوقت الذي تَمَّتْ فيه كتابة الكفر عليه؛ لا نجد فرقاً بين كتابة الكفر عليه في الأزل أو في أي وقت من الأوقات قبل نهاية امتحانه.

ويمكننا أن نُعَيِّنَ الجزء الأخير من حياة أبي جهل. ونسأل د.شحرور نفس السؤال الذي اعترض به على إثبات القدر. فنقول: لقد كان أبو جهل في دار الامتحان لكن تَمَّتْ كتابة الكفر عليه قبل نهايته وخروجه من امتحانه، ولم يَبْقَ له خيارٌ ولا قدرةٌ على الرجوع وَطَلَبِ النجاة. وبهذا يقع د.شحرور في اعتراضه ويعود عليه قوله: «إن هذا الطرح لا يترك للخيار الإنساني الواعي معنى، وإنما يجعله ضرباً من الكوميديا الإلهية مهما حاولنا تبرير ذلك.»

ومثل ذلك يقال في كلِّ مَنِ اعترف د.شحرور بكتابة الهلاك والنار عليهم قبل موتهم.

بل نقول إن ما قاله شحرور الثاني صريح في سَلْبِ إرادتِه وحرمانِه مِنْ فرصة الرجوع وحرية الاختيار.

شحرور الثاني يناقض الأول ويثبت صدور حُكْم مُبْرَم قهري مُسْبَق بالعذاب:

يبدو أن د.شحرور نسي تماماً حديثه عن الكوميديا الإلهية ونفي تقدُّم عِلْم الله بأفعال المكلفين. فقد ناقض د.شحرور اعتقاده في عِلْمِ الله وأثبَتَ صدور حُكْم قهري مسبق بالعذاب! يقول شحرور الثاني: (القول الإلهي حُكْمٌ مُبْرَمٌ قهريٌّ. بدليل قوله تعالى لنوح ﴿.. ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾ هود 40، أي إلا مِنْ صَدَرَ حُكْمٌ مُبْرَمٌ بِحَقِّهِ. والقول الإلهي كَحُكْم قهري مُبْرَم لا يتغير ولا يتبدل. بدليل قوله تعالى ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ ق 29. والقول الإلهي، كَحُكْم قهري مُبْرَم لا يتبدل...بدليل قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ الأنعام 73. والقول الإلهي، باعتباره حكماً قهرياً مبرماً لا يتغير ولا يتبدل. تَحَوَّلَ إلى حق مرئي ملموس، لا خيار فيه.)[1]

هذا الرأي في (القول الإلهي) يوجب أن يكون تعذيب أهل النار جميعاً قد صَدَر مسبقاً بِحُكْمٍ مُبْرَمٍ لا يتغير ولا يتبدل. فقد وَصَفَ الله الوعيد بجهنم أنه قولٌ حقٌّ.

(1) تجفيف منابع الإرهاب، ص 159.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

فإذا كان القول الحق حكماً قهرياً مبرماً لا يتبدل فهذا إثبات قاطع لما نفاه د.شحرور مِنْ سَبْقِ عِلْمِ الله.

كنت أظن أن المهندس يحسن الهدم ولا يحسن البناء لكن من يظن أن الثوابت يمكن أن تُهدم بأدلة ينقضها مهندسها لا يحسن حتى الهدم. وكلما وقف على أنقاض غاب عنه أنها أنقاض قراءته.

بقيت نقطة واحدة نتفق فيها مع المهندس وهي وجود الصورة المعكوسة في هذا الاعتقاد. فلا ريب أن اعتقاد المسلمين صورة معكوسة ولكن بالنسبة لاعتقاد المهندس.

اجتهاده في إسقاط أركان العبادات
إسقاط ركن الصوم وجعله اختيارياً
ونقل رمضان إلى شهر آخر[1]!

علمنا من حديث جبريل عليه السلام ومن إجماع الأمة أن الصيام في رمضان من أركان العبادات في دين الإسلام. لكن المهندس أسقط هذا الركن من جهتين. من جهة إسقاط وجوبه ومن جهة نقل رمضان إلى الشهر الميلادي التاسع! ولا بد من توضيح الجهتين في عنوانين.

أولاً: إسقاط وجوب الصيام على عموم المسلمين وجعْلِه اختيارياً!

يقول: (فإن كنت تستطيع الصيام فالصيام خير لك، وإن كنت لا تريد فعليك بالفدية وهي إطعام مسكين).[2]

واعتمد المهندس في إسقاط الوجوب على وهمه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ (البقرة:184)

قال: (...فهذا الشق من الآية يتوجه بالخطاب إلى الذين يطيقون صيام رمضان، أي يقدرون على أدائه، لكنهم لا يرغبون في ذلك لسبب أو لآخر.. وجعل لهم التنزيل الحكيم فدية مقابلة عدم صيامهم رمضان ممثلة في إطعام مسكين على الأقل على كل يوم، ثم يوضح لهم أن أجر الصيام عند الله أكبر وخير من أجر الفدية (إطعام مسكين)).[3]

(1) توسعت في مناقشة هذه المسألة في الكتاب الثاني ص 123.
(2) الصيام وفق الاستطاعة، منشور بتاريخ / 22 يونيو 2015. https://shahrour.org/?p=3984. وانظر نحوه في كتابه تجفيف منابع الإرهاب، 28 – 29.
(3) أم الكتاب وتفصيلها، ص 192.

وقد استدل باستعمال الفعل (يطيقونه) على كون الصوم اختيارياً.[1] وهو استدلال عجيب أنه يناقض قاعدة نفي الترادف التي جعلها المهندس أساساً عظيماً وأصلاً من أصوله اللغوية!

وكان ينبغي أن ينفي الترادف بين القدرة والإطاقة. فإذا غاب عنه نفي الترادف فسوف نوضحه.

نفي الترادف يقتضي التفريق بين القدرة والإطاقة:

يجب أن نفرق بين الفعلين (يقدرون) و(يطيقون). فهناك فرق بين قولنا: «وعلى الذين يقدرون على الصيام فدية» وقول الله تعالى ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ﴾

والفرق بينهما أن قولنا (وعلى الذين يقدرون) يقتضي ان يكون الصوم اختيارياً. أما قوله تعالى ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ فليس مرادفاً لمن يقدرون. قال الرازي: (لا يقال في العرف للقادر القوي: إنه يطيق هذا الفعل لأن هذا اللفظ لا يستعمل إلا في حق من يقدر عليه مع ضربٍ من المشقة.)[2] هذا هو الفرق الدقيق. فالمراد فعلى الذين يقدرون على الصوم ولكن مع قدر من المشقة والحرج بسبب المرض فعليهم فدية.

ويمكن أن نظهر الفارق بين الفعلين بعبارة أخرى. فنقول (وعلى الذين يطيقونه) أي: يقدرون عليه لكن مع استنفاد قدرتهم حتى لم يبق منها إلا الطوق. قال ابن عاشور:(والمطيق هو الذي أطاق الفعل أي كان في طوقه أن يفعله، والطاقة أقرب درجات القدرة إلى مرتبة العجز، ولذلك يقولون فيما فوق الطاقة: هذا ما لا يطاق).[3]

قال الرازي: (الوُسْعُ فوق الطاقة. فالوُسْعُ: اسم لمن كان قادرا على الشيء على وجه السهولة. أما الطاقة: فهو اسم لمن كان قادرا على الشيء مع الشدة والمشقة. فقوله: «وعلى الذين يطيقونه» أي وعلى الذين يقدرون على الصوم مع الشدة

(1) أم الكتاب وتفصيلها، ص 192.
(2) التفسير الكبير، 5/ 248.
(3) التحرير والتنوير، 2/ 166.

والمشقة.)[1] فيدخل في ذلك الشيخ الهَرِمُ وصاحب المرض المُزْمِنِ وَمَنْ هو في حُكْمِهِم.

ومرة أخرى أعود فأكتفي بجواب يحسم ويقطع من كلام شحرور الثاني.

فقد تحدث الثاني عن الصوم بأنه حكم ثابت بآية محكمة مغلقة لا يحق لأحد أن يجتهد فيها وقال بكل وضوح: (كُتِبَ على المؤمنين من أمة الملة المحمدية كما كُتِبَ على الأمم من قبلهم، ولهذا فلا يسع الاجتهاد في الآية لأنه لا يوجد فيها ما يمكننا أن نجتهد فيه، لهذا فهي محكمة).[2]

ثانياً: نقل رمضان إلى الشهر الميلادي التاسع:

لا يجد المهندس حرجاً أن يصرح باعتقاده أن رمضان يوافق الشهر الميلادي التاسع! وأن الأشهر القمرية تحتاج إلى تصحيح! يقول: (الأشهر القمرية تحتاج لتصحيح، يقوم به المختصون ويجمعون عليه، بحيث توافق الأشهر القمرية الأشهر الشمسية، أي ما يسمى بالنسيء، وأعتقد أن رمضان يوافق الشهر التاسع الميلادي (أيلول، سبتمبر) [3]!!

بصراحة: ليس كل شبهة تستحق جواباً. ولهذا سأكتفي بالاستعانة بمن يتولى عني الإجابة بجواب يحسم ويقطع.

يتحدث شحرور الثاني عن الآيات المحكمات ويذكر أنها الآيات التي (لا يُدخل عليها، فلا اجتهاد وتغيير وتبديل وتعديل، مثل أن تجعل الصيام في شعبان بدلاً من رمضان..)[4]

لا يصلح ركناً لخيمة ما يسقط بهذه الشبهات الضعيفة؛ فكيف يكون ركناً لهذا الدين العظيم؟!

ننتقل إلى أنقاض أخرى يحسبها المهندس أنقاض أركان الإسلام.

---

(1) التفسير الكبير، 5/ 248 .
(2) أم الكتاب وتفصيلها، ص 192.
(3) الصيام وفق الاستطاعة منشور بتاريخ / 22 يونيو 2015.
https://shahrour.org/?p=3984. وانظر نحوه في كتابه تجفيف منابع الإرهاب، ص 29.
(4) النبأ العظيم، 2/ 285.

إسقاط ركن الحج بنقل يوم عرفة إلى شهر رجب وغيره من الأشهر الحرم[1]!

حج المسلمون حتى الآن أكثر من ألف وأربعمائة مرة ووقفوا في عرفات في اليوم التاسع من ذي الحجة. ولا أعلم أحداً من المالكية ولا الشافعية ولا الشيعة ولا الخوارج ولا غيرهم أدى مناسك الحج في غير أيامها المعلومات.

وحده المهندس شحرور لم يجد حرجاً أن يجتهد ويجدد. فتوصل إلى أنه يمكن أن تُؤَدَّى مناسك الحج طوال الأشهر الحرم. يتناوب الحجاج على أداء المناسك طوال تلك الأشهر الحرم. فربما يتفق وقوف فوج من أفواج الحجاج بعرفة في يوم التاسع من ذي الحجة، أو العاشر أو أي يوم من أيام من ذي الحجة! وربما يتفق وقوف فوج آخر في شهر رجب! وفوج ثالث يقف في عرفة في شهر محرم! المهم أن يؤدي الجميع عين المناسك خلال الأشهر الحرم!

وكان مفتاح هذا الاجتهاد هو التشكيك بأدلة تعيين يوم عرفة. فقال: (فإذا كانت أركان الحج لا تحتاج إلى أكثر من أيام معدودات، وإن كان الحج عملياً عند الرسول (ص) (في حديث رواه الحاكم في مستدركه وأحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي - إن صح - هو الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذي الحجة، رغم أن هذا الحديث غير موجود في الصحيحين، فما معنى قوله تعالى ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ (البقرة:197)؟

الجواب على ذلك أن الآية تتحدث عن الحج عموماً من جانب، ومن جانب آخر فهي تأمر المؤمنين بصيغة الإخبار أنهم يمكنهم أداء مناسك الحج خلال أي فترة من الأشهر الحرم.

(1) توسعت في مناقشة هذه المسألة في الكتاب الثاني، ص 131.

لذا لا نرى أي ضرورة لوجود هذا الزحام في الحج، ويمكن تقسيم أشهر الحج على فترات لأداء مناسك الحج فيها بالتناوب، ... بتفريقهم على جدول زمني على الأشهر الأربعة).[1]

نقلت هذا النص لأبين جرأته الشديدة على استغفال العقول كأنه يخاطب مجموعة من الحمقى!

فيخبرهم أن الحج عملياً عند الرسول هو الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذي الحجة إن صح الحديث. لكن الحديث ليس في الصحيحين!! يتوقع بهذا الاستغفال أننا سنسرع إلى الصحيحين لننقذ ركن الحج من هذا الاستغفال ونجد خبرا صحيحا يقول الوقوف بعرفة في اليوم التاسع!!

ما كان ينبغي له أن يتحدث عن الحج عملياً ثم يفتش عن دليله في الكتب. يا سيدي الحج عملياً لم يختلف طوال عمر الإسلام.

ومثل هذا الاستغفال لا ينبغي لأحد أن يجيب عنه إلا مفكر من هذا المستوى نفسه. وهو شحرور الثاني. فانظر كيف ينقض بنفسه أنقاضه.

فقد وقف **شحرور الثاني على قوله** قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ (البقرة:197) وقوله تعالى ﴿ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ (البقرة:203)

ثم قال: (والإشارة واضحة إلى أن هذه الأشهر الحرم معروفة ومعلومة ومشهورة عند العرب قبل البعثة المحمدية. وهذا يقودنا إلى آية الحج (28) وقوله تعالى ﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾، فكما أن ثمة أشهر معلومات هي الأشهر الحرم، كذلك هناك أيام معلومات معروفات ومشهورات هي الأيام التسعة الأولى من شهر ذي الحجة وآخرها يوم الوقوف بعرفة. ولا يطعن في معلوميتها وشهرتها أنها لم تذكر بالنص في التنزيل الحكيم، فهي الموسم السنوي الأبرز عند أهل شبه الجزيرة العربية قبل البعثة

(1) أم الكتاب وتفصيلها، 193 – 196.

المحمدية، وفيها كانت قريش تمارس دور المضيف في رفادة الحجاج وسقايتهم منذ عهد إبراهيم، بدليل أن الإشارة إلى هذه الأيام المعلومات وردت في سياق خطابه تعالى لإبراهيم: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ...﴾ (الحج:27 – 28) أي أن الأيام المعلومات بدأت منذ عهد إبراهيم عليه السلام. إذاً هنالك أيام معدودات تأتي في الترتيب القرآني بعد الأيام المعلومات هي التي تبدأ بالوقوف بمزدلفة وتنتهي بطواف الإفاضة، وهي التي لا إثم على الحاج إن تعجل بأداء ما بقي عليه من مناسك في يومين، ولا إثم عليه إن تأخر، حسب النص الحرفي لآية البقرة (203).[1]

نفهم مما سبق أن الأشهر الحرم معروفة ومعلومة ومشهورة عند العرب قبل البعثة المحمدية. وأن الأيام المعلومات معروفات ومشهورات هي الأيام التسعة الأولى من شهر ذي الحجة وآخرها يوم الوقوف بعرفة. ولا يطعن في معلوميتها وشهرتها أنها لم تذكر بالنص في التنزيل الحكيم. وأن الأيام المعلومات بدأت منذ عهد إبراهيم عليه السلام. فإذا ذكر الله مناسك الحج ولم يعين أيامها فهذا لا يعني أنها ليست معينة. بل هي بنص الآية معلومات. وبنص القراءة المعاصرة أن يوم التاسع من ذي الحجة هو يوم الوقوف بعرفة. فإذا أوجب الله أداء كل نسك من المناسك في يومه من تلك الأيام المعلومات؛ فكيف يصح أن نجتهد في أداء نسك في غير يومه المعلوم؟

ولا يخفى على أحد أن الشعائر لا تتعلق بالفعل مجرداً عن زمانه ومكانه الذي عينه الرب سبحانه. فلا يصح لأحد أن يصلي الظهر أربع ركعات في وقت الفجر، ولا يصح أن يصوم شهر رجب بدل شهر رمضان، ولا أن يطوف حول مسجد بدل الطواف حول الكعبة. مع أنه قام بنفس الفعل البدني المطلوب في تلك العبادات لكن في غير الزمان والمكان الذي عينه الرب سبحانه. وكذلك الأمر في أداء كل شعيرة من شعائر الحج في غير يومها المعلوم.

(1) أم الكتاب وتفصيلها، 194 – 195.

وبهذا يظهر أن أركان الإسلام لا ينقضها متناقض. وأن شحرور يقف على أنقاض فكره وهو يحسبها أنقاض الإسلام الذي هدم تصوره وثوابته!

إباحة كبيرة الزنا والافتراء على الله بأنه أباح للمرأة أن يكون لها (بوي فرند)[1]!

(الزنا) كبيرة من الكبائر في اليهودية والنصرانية والإسلام. نصَّ الله في كتابه على تحريمها في جملة من الآيات المحكمات البينات. منها قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا وَفَرَضْنَـٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ...﴾.

ومن شأن الشرع الحكيم أن تكون دلالته على الكبائر والموبقات دلالة واضحة لا تقبل الاختلاف والاجتهاد. وهكذا كان شأن التنزيل الحكيم في إحكام تحريم الزنا. فقد سدَّ منافذ الشبهات وثغرات التأويل، وأغلق الأبواب أمام الراغبين بتحليل ما جعله الله فاحشة وساء سبيلاً.

وبهذا الأسلوب الحكيم ارتفع الخلاف، وانعقد إجماع المسلمين على تحريم هذه الكبيرة طوال عُمُرِ الإسلام.

لكن د.شحرور تجرأ لأول مرة في تاريخ الشرائع السماوية كلها ونسب إلى الله سبحانه أنه أعطى كل امرأة في العالم حقاً بأن تكون أمَّاً وهي عزباء، فتنام مع رجل لتحمل منه وتصبح أمَّاً وهي لا تزال عزباء! وأنه سبحانه أباح للرجل الحر أن يتملك حرة يتخذها ملك يمين، ينال منها ما ينال المالك من جاريته الحقيقية! كما أباح للمرأة أن تتخذ بمالها رجلاً يكون ملك يمين لها! لكنها تصل به إلى ما لا يصل به العبد الحقيقي من سيدته! والعجيب أنه افترى على الله ونسب إليه أنه قال للمرأة: (اعملي بوي فرند) وقال للرجل(اعمل جيرل فرند)!!

وأعجب منه أنه اختلف في حكم الزنا بالسر على أربعة أقوال!!.

(1) توسعت في مناقشة هذه المسألة في الكتاب الثاني، ص 140.

له أربعة أقوال في حكم الزنا بالسر:

من المألوف في كتب الفقه أن تقرأ في صدر المواضيع الاجتهادية عبارة تقول (اختلف الفقهاء على ثلاثة أقوال)، ومن المألوف أن يعد العلماء هذا الاختلاف من مرونة الفقه وسعته وخصوبة الفكر الإسلامي. لكن ليس من المألوف أن تقرأ مثلاً (اختلف الفقهاء في حكم الزنا على أربعة أقوال!!)، ومن أبعد ما يكون عن المألوف أن يقال في فقيه واحد (اختلف الإمام فلان في حكم الزنا على أربعة أقوال)! لكن الخصوبة والمرونة والسعة زادت عن حدها عند المهندس حتى انقلبت إلى ضدها وأصبحت تذويباً يتشابه فيه تشريعات الأمم المتحدة لحمل المراهقات [1]بتشريعات القرآن الكريم!

القول الأول: تصريحه بإدخال الزنا الخفي في الفواحش.

يقول المهندس: (الزنا هو علاقة الجماع الجنسي المباشر بين الرجل والمرأة بدون عقد نكاح والذي أطلق عليه مصطلح الفاحشة...)[2]، ويقول (تسمى فاحشة في حالة الخفاء وزنا في حالة العلن).[3]

القول الثاني: تصريحه بإباحة الزنا الخفي وعدم إدخاله في الفواحش:

صرح د.شحرور بذلك في مداخلة ضمن البرنامج الحواري بين المقدم عمرو أديب وخالد الجندي. يسأله المقدم: (لو أن رجلا وامرأة اتفقا على العلاقة الجنسية بينهما؟

جوابه: إذا كانت غير متزوجة حلال طبعاً طبعاً طبعاً طبعاً طبعاً!!

في فرنسا هناك عيش مشترك بين رجل وامرأة، المجتمع يعلم، وأهلها يعلمون، وهي تعلم، وأهله يعلمون، العلاقة بينهما 100 ٪ حلال!

(1) https: / /2u.pw /ag9lFs6
(2) الكتاب والقرآن، ص 628.
(3) أم الكتاب وتفصيلها، ص 286.

سؤال: لو واحد وواحدة وأهلها عارفون بعلاقة بدون ما يسمى الزواج الشرعي؟

جوابه: حرام في حالتين فقط. الحالة الأولى إذا كانت متزوجة، الحالة الثانية العلنية يعني إذا كانت في الحديقة!

في المجتمع الإسلامي أي رجل وامرأة توافقا، وإذا كان لا يوجد سفاح فعشرة ما بينهما إذا صار علناً فهو زنا، إذا كانت غير متزوجة فهو ليس بزنا. كلام (فول استوب).

يسأله خالد الجندي عن الزنا؟

جوابه: 1 - عشرة امرأة متزوجة 2 - العشرة العلنية.

سؤال: الاتفاق بين رجل وامرأة وإذا كتبت امراة إقرارا بموافقتها على هذا؟

جوابه: (ماحدش له دعوة) ومش حرام.؟ إطلاقاً!

يسأله الجندي: لو في بيت مش زنا؟

جوابه: إذا كان باتفاق وغير متزوجة. واضح كلامي، واضح كلامي!

سؤال: لو حصل حمل من الزنا في البيت، لا يرى أحد، واتفق الاثنان، نقول ماذا ؟

يبقى هذا ذنبها! هذا ذنبها أنها هي وافقت على كذا

سؤال: يعني نقول لها ماذا؟ نرمي الولد في البارك؟

جوابه: أقول هذا ذنبها

أقول لك 80 ٪ من النكاحات التي تحصل في الكرة الأرضية حلال حلال).[1]

لا ريب أن المهندس يعدُّ رأيه واضحاً، وأن المقدم والضيف أعادوا السؤال من جهات كثيرة حتى يزداد الوضوح وضوحاً. ولا أجد في ذلك ما يستدعي توضيحاً فوق هذا الوضوح. إلا أني أُذَكِّرُ بأن النكاح في اصطلاحه هو (الجماع) ولا يعني الزواج[2]. فعندما يتحدث المهندس عن النكاحات التي تحصل في الكرة الأرضية فلا يمكننا أن نحمل كلامه على غير اصطلاحه. وفي استشهاده في هذا المقطع بما يحصل في فرنسا زيادة تأكيد وتوضيح لا تقبل التأويل.

(1) https://2u.pw/xTEr17J

(2) يقول في كتابه الإسلام والإيمان، ص 68: (إن فعل نكح في اللسان العربي يعني معنى واحداً هو العملية الجنسية).

وفي مقابلة مع قناة الفضائية الفرنسية 24، تنسب إليه المذيعة أنه يبيح الزنا بالتراضي بين الرجل والمرأة فلم ينف ذلك، بل قال: (قولوا لنا ما هي الفواحش، ما عداها حلال. لا تقولوا ما هو الحلال. قولوا لي ما هو حرام. الحلال لا داعي لأن تقولوا لي عليه، لهذا السبب قال لنا ربنا ما هو الحرام. الحلال ما عدا ذلك.... الفواحش ستة 1 - الزنا وهو الجنس العلني...2 - الجنس الجماعي وهو (السفاح)...3 - نكاح المحارم..4 - نكاح المتزوجة 5 - نكاح امرأة الأب... 6 - المثلية... هذه الفواحش التي قال عنهن. ما عدا ذلك فهو حلال.)[1]

ولا يخفى أن هذا الجواب ليس فيه إدخال الزنا بالتراضي في الفواحش. ولا يخفى أن هذا التفصيل ورد في جواب السؤال عن إباحته الزنا بالتراضي. ولا أدري إن كان جواب المهندس في القنوات الفضائية الغربية يختلف عن إجابته في القناة الخليجية!

لكني أجد الدكتور يكرر هذا المعنى في جملة من حواراته ومحاضراته المصورة المنشورة -منها محاضرته في السوربون- يتحدث عن الأم العزباء!! ويرى أن الله أعطى لكل امرأة حقاً أن تكون أماَ!! وأن الله لم يحرم ذلك. ويجعل قول الله تعالى ﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا﴾ قاصداً لحمل هذه العزباء في قوله (أحدهما)! فيقول على لسان امرأة تسأل: (ما تزوجتُ وبدِّي أحبل! ونمت مع واحد وحبلت! هي كمان (أحدهما) شو بتأمر؟

إذا المجتمع قبلان ونظمها. شو المانع؟ قل لي).

ويعد على أصابعه هذه الفواحش الستة، ولما وصل إلى المثلية قال: (أباح الله للمرأة أن تتخذ (بوي فرند) لكن لا تتخذي (جيرل فرند). ويقول للرجل أنا سمحت لك تتخذ (جيرل فرند) لكن لا تتخذ (بوي فرند)! ثم يقول هذه هي الستة. ما عدا ذلك فهو حلال).[2]

---

(1) https://2u.pw/C7iny6h

(2) https://2u.pw/vEuUKb0

ولا أملك جواباً إلا قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (سورة الأعراف 28).

القول الثالث: السكوت عن الزنا الخفي وتعديد الفواحش الستة من دون العلني:

يحصر د.شحرور الفواحش في ستة أولها الزنا العلني، ثم يتابع في عدِّ الفواحش ولا يذكر منها الزنا الخفي! فيقول: (عدد الفواحش ست، هي: نكاح المحارم، نكاح المتزوجة، الزنا (الجنس العلني)، السفاح (الجنس الجماعي)، المثلية الجنسية الأخدان)، ونكاح ما نكح الآباء.. -.

والفواحش قسمان ظاهرة وباطنة، فالظاهرة هي: نكاح المتزوجة والزنا والسفاح ونكاح ما نكح الأب. والباطنة هي: نكاح المحارم، والمثلية الجنسية، والفواحش باطلة كلها حتى لو قوننتها المجالس التشريعية والبرلمانات.)[1]

إن هذا الغموض مع الأقوال المطاطة لا يصلح في هذا المقام القطعي. ولا أرى مثالاً لهذه المطاطية إلا تصريحات السياسيين التي تُفْهِمُك شيئاً فإذا فهمتَه وجعلتَه حجة عليهم عادوا إلى النص فاتهموك بإخراجه عن مساره!

سؤال واعتراض: لماذا تنكر أنه تراجع عن ذلك لما سئل في برنامج حواري فأعلن أن الزنا من المحرمات؟!

لا ريب أن ملاحقته في كثير من البرامج بالسؤال عن رأيه في إباحة الزنا بالتراضي لم يأت من فراغ ولا من اتهام باطل لا يستند إلى كلامه. وقد رأينا كيف يناقض جوابه في القناة الفرنسية جوابه في القناة الخليجية. بل حتى في القناة المصرية صرح وجزم بوضوح رأيه، ووضع نقطة في آخر السطر بأنه حلال طبعاً طبعاً طبعاً!

(1) تجفيف منابع الإرهاب، 356.
دليل القراءة المعاصرة، ص 74.
للتنزيل الحكيم.

ومن المعلوم عند كل باحث أن الإجابة عن سؤال واحد بأجوبة متناقضة ليس تراجعاً، ولا نملك بين أيدينا كلاماً صريحاً يعبر فيه عن تراجعه في هذا الحكم!

وعلى فرض التصريح بهذا التراجع لا يكفيه هذا التراجع حتى يظهر لنا بطلان أدلته الكثيرة المنشورة في كتبه وحواراته.

وإذا لم يبطل أدلته فلا بد أن نظهر أن نقض إجماع الشرائع السماوية على تحريم الزنا لا يمكن نقضه إلا بتحريف أو تخريف!

دليله الأول: نفي الترادف والتفريق بين الفاحشة والزنا:

لجأ المهندس إلى قاعدته في نفي الترادف فوضع لفظين متقاربين وهما (الفاحشة والزنا)

فالزنا هو الفاحشة العلنية.

والدليل أن (الزاني اشتق من زن، كقولنا: زنَّ الزنبور. وهذا يعني أن الشهوة زنَّتْ على الزاني حتى أنه تجاوز الخوف من الله والخوف من المجتمع، ففي تجاوز الخوف من الله ارتكب الفاحشة، وفي تجاوز الخوف من المجتمع قام بها علناً. ولهذا يكون الزنا = الفاحشة العلنية).[1]

ويقول أيضاً: (الزنا فهو ما يسمى بالفاحشة العلنية... وفي حالة الزنا يَزِنُّ الجنس على الإنسان ويلح عليه حتى يصبح في وضع نفسي يلغي فيه كل اعتبار للمجتمع فيقترفه بشكل علني دون حياء).[2]

وهذا الدليل مزور صنعه المهندس، ولم يرجع في هذا التعريف إلى معجم لغوي ولا تفسير قانوني! **وقد** بحثتُ كثيراً عن أصل يستند إليه د.شحرور في إرجاع الزنا إلى (زنّ) فلم أجد لذلك أصلاً ولا موافقاً. والمعروف في معاجم اللغة أن الزنا من (زنى). ولا علاقة له بالفعل (زنَّ) هذا مذكور حتى في معجمه المفضل**!**[3]

(1) الإسلام والإيمان، ص 69.
(2) الدين والسلطة، ص 120.
(3) مقاييس اللغة، ص 3/ 26.

فمن أين أتى المهندس بهذا التحريف؟

والجواب: من اللهجة الدارجة العامية في لسان أهل الشام. ولعلهم أحدثوا هذا الفعل (زنَّ) من صوت أجنحة الحشرة، فإنها تشبه صوت حرف الزاي مكرراً.

ومن المعلوم عند جميع الباحثين واللغويين أن كلام الأدباء والشعراء من أهل الشام في هذا العصر لا يصلح حجة في معرفة معاني المفردات.

وسأفترض أنه حجة، بل سأفترض أن العرب في الجاهلية هم الذين قالوا (زنّ الزنبور)...لكن هذا يدل على عكس ما فهمه شحرور.

لأن الشهوة ربما (زنَّتْ) على الزاني حتى تجاوز الخوف من الله ولم يتجاوز الخوف من المجتمع فزنا في السر. وبذلك يكون قد استحق وصف الزاني لرضوخه لِـ(زَنّ) الشهوة والوقوع فيها سراً.

وبهذا يظهر أن المهندس لا يفشل فقط في الطريقة الصحيحة في الاستدلال بمعاجم اللغة لمعرفة معاني المفردات، بل يفشل في التزوير كذلك.

سؤال: الدكتور شحرور ما أباح الزنا، ولكنه اجتهد في إعادة صياغة عصرية لمفهوم (ملك اليمين) فلماذا لا تناقشه في ذلك بروح قانونية عصرية؟

جوابي: لا أقول إنه لا يمكن في (ربع ساعة) أن أناقشه في ذلك، بل أقول لا يمكن أن أعرض في هذا الوقت الضيق تناقضاته في هذا التشريع العصري!

لكن مع ذلك سأوضح هذا التشريع العصري ثم ألخص التناقضات في مستنداته التشريعية.

مفهوم عقد (ملك اليمين) في تشريع شحرور[1]

(ملك اليمين) هو تعاقد بين الأحرار على إقامة علاقة جنسية، لا يُشترط فيه شهود ولا إعلان ولا ولي ولا مهر، بل يمكن أن تدفع المرأة للرجل فيكون ملك يمين لها! وإذا حصل حملٌ من هذه العلاقة (يبقى هذا ذنبها لأنها وافقت على كده)!

وبهذا العقد العصري تتخذ المرأة الحرة بمالها رجلاً حراً فيصبح ملك يمين لها! وبالمقابل أيضاً يتخذ الحر بماله ملك يمين من النساء الحرائر!

تناقضات المشرع في مستندات هذا العقد والتشريع:

توصل المهندس إلى ذلك تشريع هذا العقد من باب نفي الترادف بين (الرق) و(ملك اليمين).

لكنه تناقض مراراً في هذا التفريق.

1 - مرة يقول: (و«ملك اليمين» لا يعني الرق من قريب ولا من بعيد. بل هو نظام بديل عن الرق. وهو نظام يقوم على مبدأ التعاقد بين أحرار).[2]

2 - ومرة يناقض نفسه ويجعل (الجواري) تفسيراً مطابقاً لـ(ملك اليمين). فيقول: (ولا ننسى أن عدد ملك اليمين (الجواري) كان مفتوحا بالإضافة إلى الزوجات).[3]

3 - ومرة يصرح بأنه هو الذي اخترع هذا المفهوم العصري الذي يفرق بين (ملك اليمين) و(نظام الرق)، ويصرح بأن الأصل في العصور السابقة أن (ملك اليمين) هو (نظام الرق).

(1) توسعت في مناقشة هذه المسألة في الكتاب الثاني، ص 155.
(2) انظر الإسلام والإيمان، 113 - 127.
(3) الإسلام الأصل والصورة، ص 217.

فيقول: (ومع إلغاء نظام الرق اليوم في كل أنحاء العالم، فقد نسخت آيات ملك اليمين تاريخياً، وهذا أمر في غاية الخطورة، ما لم نبحث عن مدلول معاصر لملك اليمين).[1]

وهذا مناقض لما نفاه لما زعم أنه لا يعني الرق من قريب ولا بعيد!

أنتقل إلى تناقضات أخرى في مستندات هذا التشريع:

وقع شحرور في معضلة وهو يواجه سؤالاً يقول: مَن الذي شَرَّعَ أو صادق على تشريع (عقد ملك اليمين) باعتباره عقداً بين الأحرار؟

وهذا السؤال معضلة كبرى ستضطره وتحصره في زاوية تشبه الزاوية التي ينحصر فيها المدلس عندما يواجه بانكشاف تدليسه.

فإذا اعترف المهندس ونسب إلى نفسه أنه هو الذي جعل (ملك اليمن) عقداً بين الأحرار؛ فهذا يعني أنه عقد فاقد للشرعية لأن (ملك اليمين) في القرآن علاقة بين العبد المملوك الرقيق ومالكه.

وإذا نسبه إلى القرآن أو النبي؛ فسوف يتناقض مع تشريعات الرق الثابتة في القرآن والسنة!

أمام هذه المعضلة وقف المهندس مضطرباً مرة يقول: النبي ألغى الرق ومرة يقول: ما ألغاه! ويتقلب في تناقضات نعدها بالأرقام:

1 – النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي ألغى الرق ووضع مقابله (ملك اليمين) الذي يقوم على مبدأ التعاقد بين أحرار. يقول: (كان من الضروري إلغاء الرق في الرسالة المحمدية.. وهذا ما فعله النبي (ﷺ)، إذ ألغى الرق ووضع مقابله «ملك اليمين» الذي يقوم على مبدأ التعاقد بين أحرار).[2]

2 – النبي لم يُلغِ الرق؛ لأن إلغاء الرق وتحريمه دفعة واحدة غير منطقي!

(1) نحو أصول فقه جديدة، طبعة دار الأهالي، ص 369.
(2) الدولة والمجتمع، ص 308.

يقول د.شحرور: (الحقيقة أن الإسلام وضع حجر الأساس لإلغاء الرق...ولم يكن آنذاك منطقيًا إلغاء الرق دفعة واحدة أو تحريمه).[1]

3 - الإلغاء من النبي إنما يُتصور في حكم كان مقرراً. لكن الله لا يمكن أن يقر بالرق أصلاً. ولا يمكن أن يكون إقراراً مرحلياً ولا غير مرحلي. يقول: (التنزيل الحكيم هو الذي ألغى الرق واستبدله بمفهوم ملك اليمين... لكن الخلط في ثقافتنا جعلنا نظن أن التنزيل الحكيم يقر بالرق ويثبته، وهذا من غير الممكن لأن الله - عز وجل - لم يطلب العبودية حتى لنفسه، فكيف يسمح بأن تكون بين البشر).[2]

4 - يعترف المهندس بوجود الرق في عهد الرسالة ولكن يدعي انحصاره في حالات فردية، فيقول: (والعقل الجمعي في عهد الرسول وما بعده كان يقبل وجود الرقيق والعتق في حالات فردية بحتة.)[3] وهذا التقليل مناقض للمشهور والمعروف في التاريخ.

5 - أحكام الرق تنسجم مع القرآن انسجاماً مرحلياً يمتد طوال القرون السابقة.

يقول: (والنبي صلى الله عليه وسلم طبقاً لواقعه (وجود الرقيق كحقيقة) تعامل مرحلياً مع موضوع الرقيق في عصره بما ينسجم مع ما جاء في كتاب الله مدركاً أن إلغاء الرق أمر لا يمكن أن يتم في لحظة تاريخية معينة؛ لذلك نجد الكثير من الأحاديث المنسوبة إليه تتحدث عن الرق وتحدد معاملتهم والرأفة بهم وتشير إلى علاقة المالك بالمملوك).[4]

(1) الدولة والمجتمع، ص 308.
(2) الدولة والمجتمع، 336 - 337.
(3) الدولة والمجتمع، 335.
(4) الدولة والمجتمع، 313.

خيانته للمرأة التي أخذت بفتواه

تَوَقُّفُ اجتهادِ د.شحرور عند إباحة الجنس بالتراضي وعدم الخوض في آثاره وحقوقه:

هناك طرفة ليست طريفة يُحكى فيها أن أحد السكارى تمايل بيده قارورة وهو يقول: أعطوني آية في القرآن ذُكرت فيها (البيرة)!

وهناك من المخدوعين بشحرور من ينفي عنه أن أباح الزنا ثم يوضح أنه أباح (ملك اليمين)!

لذلك أقول: الفرق بين ذلك المخمور وهذا المخدوع أن أحدهما يمسك قارورة مسكرة يدعي أنها ليست خمراً، والمخدوع يمسك حرة ويدعي أنها (ملك يمين).

ومن العجب أن نحتاج إلى بيان الفارق بين تشريعات نكاح الحرة وهذا العقد المعاصر.

فالوصول إلى الحرة تترتب عليه حقوق، وواجبات، ونفقة، ورضاع، وحضانة، وسكنى، وعشرة بالمعروف، وإحسان، وضوابط في الخصام، والطلاق، والعدة...

أما شحرور فقد سُئِل عن الولد من هذه العلاقة ماذا تفعل به المرأة؟ فقال: (يبقى دا ذنبها)!! ولم يخطر بباله أن (يفصل المحكم) في فسخ هذا العقد، ينفسخ بطلاق أو بمجرد انتهاء الأجل! ولا نعلم إن كان يوجب عِدَّةً تمتنع فيها المرأة عن اتخاذ ملك يمين آخر قبل انقضائها! ولا نعلم كم تكون هذه العدة! ولا نعلم إن كان هذا العقد يُثْبِتُ حق الميراث!

كل هذا لا يعنيه فقد وصل إلى مراده فنَزَعَ عن المرأة الحرة جميع حقوقها، وأسقط عن الرجل جميع واجباته، وجعل الحرة ملك يمينه! ولم يجد قطرة من حياء تمنعه أن يسميها باسم الزانية الأجنبية (جيرل فرند)!

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الأعراف 28).

كبيرة تحريم شرب الخمر في الإسلام الذي تصوره المهندس[1]

في كل بلاد العالم قانون يعاقب من يقود سيارته إذا ظهر في اختبار أنفاسه نسبة معينة من الكحول. وفي كثير من البلاد إذا أثبت الاختبار أن النسبة 0.5 مليغرام كحول في لتر هواء الزفير؛ يعاقب بالسجن وسحب رخصة السياقة. [2]

فتأمل أن أحدهم استوقفه شرطي المرور، فثبت باختبار أنفاسه أن نسبة الكحول وصلت في دمه إلى الحد الممنوع. فلما فرضت عليه العقوبات جعل يصيح معترضاً: شربت قليلا من الخمر لكني لم أصل إلى السكر! ويقول: شربت قليلاً ولا أستطيع أن أضبط كمية الشرب التي ترفع النسبة إلى الحد الممنوع؛ فكيف يعاقبني هذا القانون الأحمق على فعل لا يمكنني تقديره؟!

طبعاً: لن يؤثر هذا الاعتراض الغوغائي ولن يعطل تطبيق القانون.

لكن تأمل أن المهندس اجتهد في اختلاق ثغرة في شرع الله يمكن أن يتخذها شارب الخمر حجة في إبطال الشرع وتحريمه وعقابه.

انظر كيف يضيف عبارة إلى (تحريم شرب الخمر). فيجعلها (تحريم الإكثار من شرب الخمر)!

فيقول: (المنهي عنه ليس عين الخمر؛ بل الإكثار منه للوصول إلى حد الإسكار).

ومرة يعبر عن الإكثار بـ(التمادي، أو الإفراط في شرب الخمر). **فيقول**: (والسكر المؤدي إلى فقدان الوعي بالقول والعمل هو الذي ينتج عن الإفراط في شرب الخمر وليس بشربها فقط). [3] بل يصرح بأن من شرب خمراً دون حد الإسكار؛ فليس بشارب خمر وليس بآثم، يقول:(..وقد تصبح إثمًا بغير حق إن شربها المرء حتى

(1) توسعت في مناقشة هذه المسألة في الكتاب الثاني، ص 214.
(2) https: / /2u.pw /lzHJbHK
(3) الكتاب والقرآن، ط 1، ص 477.

سكر وغطت على عقله حتى لا يعلم ما يقول، أما دون حد السكر فشاربها ليس بشارب خمر أصلاً، فهي ليست إثماً بالأصل.)[1]

وهذه نصوص الآيات بين أيادينا وتحت أنظارنا لا نجد فيها أثراً لهذه الزيادة (الإكثار، الإفراط، التمادي). إن هذه الزيادة تتجاوز عمل القراءة المعاصرة ولا تقف عند حد القراءة؛ بل ترفعها إلى إضافة ما تود أن تقرأه ولا تجد له أثراً في نص الآية. وبذلك تنتقل القراءة المعاصرة من استنطاق الآية إلى النطق بالنيابة عنها وخَلْطِ المنطوق بالمقروء.

ولا يخفى على أحد أن من شرب الخمر ولم يبلغ حد الإسكار؛ لا يكون شارباً لعصير العنب. ولا نعلم من أين نفى عنه الإثم! والله يقول ﴿قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾

● ولن أناقش هنا هذا العبث، فيكفي أن نعلم أن هذه الثغرات لا تليق بقانون وضعي، فكيف تليق بشرع الله الحكيم؟!

فلا يخفى على أحد أن الله لا يعلق التحريم أو النهي على أمر لا ينضبط؛ لأنه لا يُتصور امتثال أمر الله باجتناب التمادي والإفراط والسكر؛ لأنها أوصاف مطاطة لا يمكن التحقق من قيامها إلا بالوصول إلى السكر. فإذا افترضنا مكلفاً يحتسي الخمر وذكرناه بالآية؛ فله أن يعترض بأن المأمور به هو اجتناب التمادي والسكر، وله أن يعترض بأنه لم يصل بعد إلى مستوى النهي وحدوده، حتى إذا وقع في السكر علم أنه وقع في المخالفة فاعتذر بالخطأ في تقدير التمادي، ثم ألقى باللوم على هذا التكليف الذي يتعسر ضبطه، تماماً كما فعل المخمور في اعتراضه على قانون المرور.

لكن الفرق بين قانون المرور وشرع الله أن نصوص القانون لم يقرأها شحرور قراءة معاصرة.

لكن هنا ينقدح سؤال عن الآيات القرآنية التي تحرم الخمر؛ كيف قرأها المهندس قراءة معاصرة؟

---

(1) تجفيف منابع الإرهاب، ط1، ص 165.

والجواب: أنه نظر إلى تشريعات المنظمات الغربية العصرية فوجدها لا تحرم الخمر، بل تكتفي بتقديم نصائح وتحذيرات فحسب. ثم انتقل إلى آيات القرآن فجعلها نصائح وتحذيرات حتى أصبحت مطابقة لما يفعله أهل **الأرض جميعاً**!!

فتأمل ذلك في صريح قوله: (إن قصارى ما أردت الوصول إليه هو أن الله سبحانه أراد إفهامنا أنه يتخذ موقفًا من استعمال الخمور لغير غرض التخدير؛ لأن ذلك مُنافٍ للفطرة، وهذا ما يفعله أهل الأرض الآن جميعا على درجات مختلفة، فكلهم لديهم موقف سلبي من السكران وليس من شرب الخمر، وكذلك رب العالمين).[1]

● وما أصدق تعبيره عن المطابقة بين توصيات الأمم المتحدة وحُكْم الله. وهو يقول: (نصحنا الله بتجنب الخمر والميسر وكره لنا ذلك في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ (المائدة 90)).[2]

لا ريب أن هذا النصح يُستحسن ويُتصور من منظمة ليس لها حق التشريع، فلا تملك إلا أن تضع توصيات ونصائح.

ولا نسلم أن رب العالمين لديه موقف سلبي من السكران وليس مِن شُربِ الخمر!

ولا ندري كيف استطاع المهندس تحديد هذا الموقف السلبي!

ولا يخفى أنه ليس من شأن الرب أن يتخذ موقفاً سلبياً! هذا شأن غيره من المعلمين والمربين الذين لا يملكون سلطة التحريم والتشريع. ولا ريب أن اختزال دلالات الآيات التشريعية في هذا المعنى يؤدي إلى تمييع دلالتها. ويزيد هذا التمييع ظهوراً إذا عرفنا أن هذا الموقف هو ما يفعله الآن أهل الأرض جميعاً على درجات. ونحن نعرف أن جملة من أهل الأرض لا يؤمنون بالله ولا يعترفون بتحريم ولا كراهة ولا إباحة تصدر عن الرب سبحانه. والخمر في قوانين أكثر أهل الأرض غير ممنوعة إلا على القاصرين. وما يصدر عن أهل الأرض في أعلى درجاته لا يليق أن يكون موقفاً للرب سبحانه؛ لأنه موقف عاجز ينطق بعجزه وفشله؛ فالأمم المتحدة ومنظماتها

(1) انظر الكتاب والقرآن، ط 5، ص 547.
(2) الكتاب والقرآن، ط 1، ص 477.

تعترف بأن تعاطي الكحول يؤدي كل عام إلى وفاة مليونين ونصف المليون شخص، نسبة كبيرة منهم من الشباب. وأن تعاطي الكحول يُعد ثالث أهم عوامل الاختطار ذات العلاقة بتردّي الوضع الصحي في العالم، بالإضافة إلى آثاره المدمرة على الفرد وعلى الأسرة والمجتمع.[1]

ولكن مع ذلك كله تعترف بعجزها وخضوعها للطامعين بالأرباح الذين يفرضون مصالحهم ومنافع أرباحهم من الخمر على إثمها الكبير، وتحت هذا الرضوخ تنحصر المواقف في وضع خيارات للتدخلات على الصعيد الوطني.

منها تنظيم عدد ومواقع منافذ بيع الكحول العادية، ومنافذ بيع الكحول بواسطة الاتصال عن بُعد، وتنظيم أيام وساعات البيع بالتجزئة؛ وتحديد السن الدنيا الملائمة لشراء المشروبات الكحولية أو استهلاكها، ووضع عقبات أمام بيع المشروبات الكحولية

إلى آخر ما هنالك من تلك المواقف البائسة التي يدل على بؤسها عنوانها (الاستراتيجية العالمية للحد من تعاطي الكحول على نحو ضار)[2].

فهل يريد المهندس أن يختزل تجربة الإسلام في تخليص المجتمع المسلم من هذه الأخطار باتخاذ موقف من الخمور كهذه المواقف التي يفعلها أهل الأرض جميعاً؟!

وأختم هذه الخلاصة بقول يقطع ويحسم - على العادة - وهو كلام شحرور الثاني الذي يعدد فيه أركان الإسلام ويذكر منها (تحريم السكر الذي هو اجتناب رجس الخمر).[3]

وإذا تحدث مهندس عن الأركان فهو أولى المختصين بأن يعلم أن الأركان لا تسقط بوضع ملصقات وإضافة عبارات زائدة تُعلَّق على ظاهرها.

(1) انظر (الاستراتيجية العالمية للحد من تعاطي الكحول على نحو ضار)، نشرته منظمة الصحة العالمية: https://2u.pw/b74UvxO

(2) https://2u.pw/6qvAWCm

(3) الإسلام والإيمان، ص 97.

نسْخُ جميع المحرمات وحصْرُها في أربعة عشر محرماً فقط[1]

رأينا أن شحرور لما وقف على أركان الإسلام؛ وجدها تشكِّل هوية الأمة، فأراد أن يفرض عليها العولمة، فأسقط الأركان التي تمنع من تذويب المسلمين وخلْطِهم بالمجوس والبوذيين.

ولما نظر شحرور إلى المحرمات في الإسلام التفت إلى الجهة المقابلة في الغرب لم يجد أثراً لتحريم جملة منها. أمام هذا الواقع تصرف المهندس تصرف المهزوم الذي يعجز عن محاولة تغيير العالم بالإسلام فانقلب على الإسلام ليعولمه ويفرض عليه الذوبان في الغرب. فقام بحصر المحرمات في أربعة عشر محرماً لا غير، وهي: (الشرك، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وقتل الأولاد من إملاق، والفواحش، وأكل مال اليتيم، والغش في المكيال والميزان، وشهادة الزور، ونقض العهد، ونكاح المحارم، والربا، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير، والإثم والبغي بغير الحق، والتقول على الله).[2]

ما الأدلة التي استند إليها في حصر المحرمات؟

استند إلى دليلين.

الدليل الأول: عبارة عن عملية حاسوبية خالصة بحث فيها عن مشتقات التحريم في القرآن الكريم، ثم جمعها، ورتبها، وحصرها في هذا العدد! لكن هذه العملية الحاسوبية تخلو من رائحة الفقه وروح التأصيل والاستنباط.

الدليل الثاني: نفي الترادف، والتفريق بين النهي والتحريم:

وقد بينت من قبل أن نفي الترادف من كمال التعبير القرآني. لكن المهندس يسيء استخدام هذا الكمال ويوظفه في استحداث معنى ليس له نسب شرعي ولا أصل في

(1) توسعت في مناقشة هذه المسألة في الكتاب الثاني، ص 321.
(2) انظر أم الكتاب وتفصيلها، ص 304.

المعاجم ولا في الاستعمال. فإذا سئل: من أين أتيت بهذا المعنى أجاب قائلاً: مِنْ نَفْيِ الترادف!

ولماذا لم يطلع عليه أحد من الفقهاء واللغويين والمفسرين؟ فيجيب قائلاً: لأنهم يثبتون الترادف!

أمام هذا المنهج يتعين علينا أولاً أن نقف على هذا الفرق بين النهي والتحريم.

والفرق بينهما أن مرتكب النهي لا يستحق العقاب، وأن فاعل الحرام هو الذي يستحق العقاب.

هذا هو الدليل اليتيم في هذا التأصيل. يقول: (والفرق بين التحريم والنهي يكمن في أن التحريم وهو المنع -كما بيناه آنفا- يترتب على اقترافه عقاب دنيوي أو أخروي أو الاثنان معاً، يستحقه مقترفه، وهو أشد أنواع المنع، بينما النهي فلا يترتب على اقترافه عقاب). [1]

هذا فرقٌ أقام عليه المهندس أصول فقهه وتشريعاته ولم يخطر بباله أن يتأكد من ثباته. ولو أنه قام بعملية حاسوبية تشبه العملية التي قام بها في حصر المحرمات؛ لوقف على كثير من الآيات التي تنقض هذا الفرق الوهمي!

ولو ذهبتُ أجمعُ بعض هذه الآيات لاستغرقت ربع الساعة كله. وأكتفي بذكر أمثلة يكفي أحدها في نقض هذا التفريق المختلق وما بُني عليه:

1 – نهى الله المؤمنين عن التولي في الزحف، ورتب على ذلك وعيداً بأشد أنواع العذاب:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦﴾ (الأنفال 16).

2 – استعمل القرآن صيغة النهي في الركون إلى الظالمين وموالاة الكافرين:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾ (هود 113).

(1) الدين والسلطة، ص 178.

3 – الوعيد باللعن لمن قذف المحصنات بالزنا.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾(النور 25).

4 – ومن ذلك الوعيد بالعذاب الأليم في حق من أحب انتشار الفاحشة في المجتمع المسلم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ (النور 19). ولا يخفى أن هذا الحب ليس داخلاً في فواحش القراءة المعاصرة ومحرماتها؛ لأن هذا الوعيد لا يخاطب مرتكبي الفاحشة، بل يتوعد من يحب أن تشيع الفاحشة في المجتمع المسلم الطاهر العفيف.

كل هذه الأفعال وغيرها تحقق فيها معيار تصنيفها في قائمة المحرمات. وهو الوعيد بالعقاب.

لكن المهندس حسَمَ أمْرَه وقطَع بحَصْرِ المحرمات في أربعة عشر محرماً، ثم نسب إلى الله أنه هو الذي حصرها، فقال: (الله عدَّد محرماته وحَصَرَها في رسالته الخاتمة، وأي تحريم آخر يتطلب رسالة أخرى بعد الرسالة المحمدية). [1]

فإذا كان الله هو الذي حَصَرَ المحرمات في أربعة عشر محرماً فنرجو أن يرشدنا إلى النص الإلهي الذي يدل على هذا الحصر في هذا العدد. وإذا كان المهندس هو الذي فَعَلَ، فَمِنَ الكبائر أن يتقول على الله ما لا عِلْم له به، ومن الكبائر أن يخرج هذه النواهي من جملة ما توعد الله فاعله بالعقاب، وليس من الحكمة أن يتحمّل أوزار متابعيه الذين التقطوا منه قراءته المعاصرة، وصاروا يرددون أن النواهي ليست من المحرمات!

وإذا كان الله وحده هو صاحب الحق في التحريم فهو وحده صاحب الحق في الوعيد والعقاب والغفران، ولا فرق بين منازعة الله في حكمه بالتحريم ومنازعته في نفي العقاب عمن توعده بالعقاب.

(1) الدين والسلطة، ص 136.

وفي ختام هذا الموضوع أسأل: هل نقض شحرور هذا الأصل من أصول فقهه وتجديده عليه؟

والجواب: بكل تأكيد فعل ذلك ولم يخرم عادته في نقض أصوله.

صحيح أنه اختلق تخصيص العقاب بفعل المحرمات دون فعل النواهي، لكنه صرح بنفسه أن فعل النواهي عصيان، فقال: (الفسوق: هو مخالفة أوامر رب العالمين ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾. العصيان بالنسبة للإنسان: هو فعلُ نواهي رب العالمين ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾.)[1]

ولو ذهبنا نجمع الآيات التي توعد الله العاصي والفاسق بالعذاب والعقاب لطال الأمر، ونكتفي من ذلك باختيار أمثلة:

1 - منها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ (الأنعام 15-16).

2 - وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ (الجن 23).

وإذا ثبت أن فعل النواهي عصيان يوجب العذاب؛ فقد بطل زعمه أن المحرمات هي التي تختص بذلك دون النواهي، وبذلك تبطل تلك العملية الحاسوبية التي توصل بها إلى قاعدة وأصل من أصول فقهه الجديد!

وما رأيت من قبل أصول فقه ليس فيها رائحة الفقه! وما رأيت مهندساً يبني أصولاً تسقط بأمثلة لا يمكن حَصْرُها في ربع ساعة!

وما رأيت مهندساً منحه الله عقلاً رياضياً يجعل الخرافة من مفاتيح فهم كلام الله!

وهو موضوعنا القادم.

---

(1) تجفيف منابع الإرهاب، ص 164.

الخرافة والخيال العلمي من مفاتيح فَهْم القرآن[1]

اختار المهندس خمساً وأربعين آية وجعلها مفاتيح فَهْم القرآن كله. ومن بينها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾. (سورة الحجر)، ثم زاد في أهمية اعتماده على هذه الآية فرأى أنها تحمل مفاتيح أخرى، فقال: (...وفيها مفاتيح الثوابت الرياضية كأعداد مجردة، ومفاتيح نشأة الكلام الإنساني.. ولا يفهمها إلا كبار علماء اللغات والرياضيات على مرّ العصور، وإلى اليوم لم يتم تأويلها).[2]

ثلاثة مفاتيح اجتمعت في هذه الآية الكريمةّ كل واحد منها يفتح علوماً ومجالات ما أوسعها!

فَهْمُ القرآن، والثوابتُ الرياضية، ونشأةُ الكلام الإنساني. لكن التحدي كبير، فالانتفاع بهذا المفاتيح مشروط وموقوف على كبار علماء اللغات والرياضيات على مر العصور، وقد بَخِلَتْ علينا العصور بعالم كبير يجمع بين علم اللغة والرياضيات حتى ظهر في هذا العصر عالم جمع بين العلمين واهتدى إلى تأويل (السبع المثاني).[3]

فقد اكتشف لأول مرة في تاريخ الإسلام أن «السبع المثاني» هي بعض الحروف المقطعة التي استفتح بها القرآن جملة من سوره، وهي: (1 – الم، 2 – المص، 3 – كهيعص، 4 – يس، 5 – طه، 6 – طسم، 7 – حم)!

وطوال عمر الإسلام كان المسلمون يعتقدون أن كلام الله في القرآن الكريم مركب من حروف مقطعة، ولكن المهندس خالف جميع المسلمين واكتشف في القرآن وجود أصوات إنسانية! ليست عربية ولا تركية ولا إنكليزية تتألف منها اللغات الإنسانية قاطبة.![4]

(1) توسعت في مناقشة هذه المسألة في الكتاب الثالث، ص 117.
(2) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 190، ط 1، ص 162.
(3) انظر (الكتاب والقرآن)، ط 1، ص 97 – 101 ، وط 2، ص 112 – 116، وط 5، ص 111 – 115.
(4) انظر الكتاب والقرآن، ص 120.

أظن أن أحد القراء سيعترض في هذا الموضع ويسأل متعجباً ومعترضاً: الإنجليزية لا تتألف من أصوات العين والحاء!!؟

وأنا أعلم أنه التركية أيضاً لا تتألف من هذه الأصوات.

وأعلم أن اللغات الإنسانية لا تخلو من حروف، التاء، السين ونحوها.[1]

وأعلم أن كثيراً من العجم لو سمع (كهيعص) فلن يتردد في وصف تلك الأصوات بأنها عربية.

ولكن في طفولتي كنت أطرح أسئلة عقلانية أستنكر فيها مبالغات الرسوم المتحركة؛ كيف يسقط الدب من ناطحة سحاب ولا يموت؟ كيف يبرأ من جميع ما أصابه في ثوان معدودة؟

لكن لما أكثرت من هذه الأسئلة؛ انفجر أخي في وجهي قائلاً: إذا أردت أن تستمع بالرسوم المتحركة فعليك أن تكون غبياً. فإما أن تستمتع معنا، وإما ان تتركنا ولا تنغص علينا متعتنا بأسئلتك.

حاضر يا سيدي: (كهيعص) أصوات إنسانية مشتركة في كل اللغات، تابع تأويل (السبع المثاني) الذي توصل إليه المهندس لأول مرة في تاريخ الإسلام، فهذا هو الثمرة والغاية.

وضَّح المهندس الثمرة والغاية من هذه (السبع المثاني)، وهي إرشاد الخلق إلى الأصوات التي تُستعمل في مخاطبة العقلاء من المخلوقات الفضائية في الكواكب الأخرى، يقول: (ويحق لي الآن أن أخمن دون أن أقطع، أنه إذا ما تيسر لنا لقاء بعقلاء في كوكب آخر غير الأرض، ثم أردنا أن نتفاهم معهم، أو نبث إليهم؛ فعلينا أن نستعمل هذه الأصوات الأحد عشر؛ لأنني أعتقد أنها القاسم المشترك للأصوات التي يمكن أن تصدر عن العقلاء).[2]

---

(1) انظر علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص 111 – 113، نشر نهضة مصر، الطبعة الأولى.
(2) انظر (الكتاب والقرآن)، ط 1، ص 97 – 101.

لن أناقش هنا ولن أعرض التناقض والاستغفال الذي توصل به إلى هذا التأويل! وأكتفي بسؤال واحد: إذا كان المهندس مقتنعاً باكتشافه وتأويله؛ فلماذا لم يبذل جهداً يحاول أن يقنع به (ناسا) والمؤسسات المعنية بعلوم الفضاء؟!

هذا حال مفاتيح فهم القرآن فكيف سيكون حال ما انفتح بها!

إيمانه بوجود آيات من كلامه تقبل التزوير[1] وإبطاله إعجاز القرآن واختراع إعجاز بديل متناقض

بداية نقول: إن إثبات وجه جديد في الإعجاز يعد من الإضافات المستحسنة التي يرجوها كل مسلم. ومن صالحنا أن يضيف المهندس وجهاً جديداً في الإعجاز يصفه بأنه (الإعجاز الأكبر). ويزداد شغفنا بهذا الجديد ونحن نسمع من المهندس عن هذا الإعجاز أن التحدي به أعم وأوسع من التحدي بالإعجاز الذي أثبته علماء اللغة والتفسير، وهو الإعجاز البلاغي.

فالإعجاز البلاغي تقوم به الحجة على العرب وحدهم، وهذا الإعجاز الجديد وقع به التحدي على العرب وعلى غيرهم من الأقوام (كلٍّ في لغته، العربي بالعربية والفارسي بالفارسية، والإنكليزي بالإنكليزية وهكذا دواليك.)[2]

نبدأ مع هذا الإعجاز من خطوته الأولى التي أصيب فيها بالرعب لما اكتشف أن (الكتاب) غير (القرآن).

واكتشف أن كل قسم منهما يختص بأوصاف مباينة لأوصاف القسم الآخر، فما يسميه (القرآن) هو (الحق)! أما القسم الآخر فيقول فيه المهندس: (في الكتاب توجد الآيات المحكمات «آيات الرسالة» وهي ليست حقاً).[3]

ويمضي المهندس في توزيع الأوصاف المتباينة على القسمين، فيقول: (أما القرآن فليس مناط التكليف، ولا يوجد فيه أي أحكام وأوامر تكليفية، فهو حق حتمي ساحق ماحق).[4]

ولا بد أن يصف المهندس (الآيات المحكمات) وهي (آيات الرسالة) بأوصاف تقابل هذا الحق الحتمي الساحق الماحق. وهذا ما فعله وعبَّر عنه بقوله:(الآيات

(1) توسعت في مناقشة هذه المسألة في الكتاب الثاني، ص 208.
(2) الكتاب والقرآن، ص 188.
(3) الكتاب والقرآن، ص 58.
(4) الكتاب والقرآن، ط 1، ص 106.

المحكمات قابلة للتزوير وليس فيها أي إعجاز)[1]!! أرجو أن لا يخطر ببال أي قارئ أن يتعجب ويسأل: كيف تكون محكمات وهي نفس الوقت قابلة للتزوير وليس فيها أي إعجاز!!

هذا السؤال يفسد علينا ما نحن فيه! فدعونا نتابع حتى نصل إلى الثمرة والإعجاز الأكبر.

ويؤكد المهندس أن الإعجاز جاء في (القرآن) فقط، يعني في القسم الثاني، فيقول:(وهكذا نفهم أن القرآن هو الجانب الموضوعي في الكتاب «الحق» ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾ (سبأ 43). وفي قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ (الأحقاف 7). هنا نرى أن الإعجاز جاء في القرآن فقط، وليس في أم الكتاب).[2]

صحيحٌ أن هذا مخالف لإيمان جميع المسلمين بأن كتاب الله كله محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وصحيحٌ أن جميعهم يعلمون أن الإعجاز البلاغي لا يثبت للآيات بحسب موضوعها؛ فلم يقل مسلم إن الآية تكون معجزة إذا كان موضوعها الغيبيات ويزول عنها الإعجاز إذا كانت من آيات الأحكام! كل ذلك صحيحٌ، ولكن من فضلكم دعوا جماهير الأمة ودعوا ما تعرفونه من الصحيح حتى نعطي فرصة للمهندس في إثبات هذا الإعجاز الأكبر.

هناك سؤال وإشكال لم يخفَ على المهندس، إشكال يقول: إذا كان بعض آيات الله قابلاً للتزوير لا إعجاز فيه، فما الإعجاز؟ وكيف نؤمن بأن هذه الآية المحكمة ليست مزورة؟

ويتلخص حل هذا الإشكال في اختراع نظرية جديدة في طريقة حفظ آيات الأحكام من التزوير.

(1) الكتاب والقرآن، ص 116.
(2) الكتاب والقرآن، ص 77.

اختراع إعجاز بديل متناقض لحفظ آيات الأحكام من التزوير.

يرى المهندس أن الذي يحفظ آيات الأحكام من التزوير بإحاطتها ووقوعها بين الآيات التي تحقق فيها الإعجاز، فالآية المحكمة القابلة للتزوير يحيط بها آية قرآنية معجزة قبلها وآية معجزة قرآنية بعدها، وبهذا تكون الآية القرآنية بمثابة ختم التصديق الذي يمنع التزوير.

يقول المهندس: (يمكن أن نسأل السؤال التالي: ما هي الغايات التي فصل الكتاب من أجلها على هذا الشكل؟ أي لماذا تداخل التشابه وتفصيل الكتاب بين المحكم، ثم تفصيل الكتاب إلى هذا العدد والمواقع من السور والآيات؟

إن الهدف الأول الذي نراه هو أن الآيات المحكمات قابلة للتزوير وليس فيها أي إعجاز... أما الشكل الذي وُضع به (القرآن) بين الأحكام؛ فإن أي اجتهاد في الأحكام لا يمكن وضْعُهُ داخل هذه الأحكام، لأن عدد الآيات وترتيبها في السورة الواحدة المؤلفة من محكم ومتشابه ولا محكم ولا متشابه مضبوطٌ تماماً، وموقع كل آية مضبوطٌ تماماً، وهذا ما أكده الله سبحانه وتعالى في سورة المائدة ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ...﴾ (المائدة 48).

فـ(الكتاب بالحق) هو (القرآن) وهو النبوة مع تفصيل الكتاب. هذا (القرآن) هو تصديق لما بين يديه من الكتاب، و(أم الكتاب) هي من الكتاب حيث تشكل مع (القرآن) (الكتاب). أي أن الوظيفة الثانية للقرآن بعد تصديق (أم الكتاب) «الذي بين يديه» هي الهيمنة على (أم الكتاب). والهيمنة في اللسان العربي تعني الحفظ والرقابة. فنقول: هيمن الطير على فراخه عندما يفرد جناحيه فوقهم ليحفظهم. ومنه جاء اسم الله «المهيمن» وهو الحافظ والرقيب.)[1]

ويقول: (وعلينا أن نعلم أن هذه الآيات قابلة للتزوير وقابلة للتقليد ولا يوجد فيها أي إعجاز، بل صيغت قمة الصياغة الأدبية العربية، لذا فهي بحاجة إلى حفظ ورقابة وتصديق. وكانت هذه إحدى مهمات (القرآن). فالقرآن هو تصديق أم

(1) الكتاب والقرآن، ص 116 – 117.

الكتاب ﴿تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾. وهو حافظ ورقيب على (أم الكتاب) من التزوير والإضافات والنقصان لذا جاءت آيات (أم الكتاب) موزعة بين آيات القرآن.)[1]

لن أكدر صفو هذا الإعجاز بنقد ولا اعتراض ولا إشكال. سألتزم بنصح أخي، وأعطي المهندس فرصته كاملة حتى يفرغ، وأتوقع أنه سيبدأ بفرز (الآيات المحكمات) و(الآيات القرآنية المعجزة) ليظهر لنا هذا وقوع هذا الفصل بينهما عملياً.

وقد رجعت إلى فَرْزِ المهندس لهذه الآيات آيةً آية، ثم نَظَرْتُ في الآيات التي تَفْصِلُها عمَّا قبلها وما بعدها، وكنت أتوقع أن تكون كل آية منها مطوقة محاطة بآية من (القرآن) حتى تحفظها من التزوير لكني في الحقيقة لم أَجِدْ آية واحدة ينطبق عليها هذا الفصل بـ(القرآن)!!

وسوف أظهر هذه الفاجعة في جدول أَذْكُر فيه الآية المحكمة، ثم أذكُر تصنيف الآية التي فَصَلَتْها عمَّا قبلها وما بعدها، حسب ما جاء في تصنيف الدكتور شحرور مع الإشارة إلى أرقام الصفحات التي أثبَتَ فيها فرْزَ الآيات في كتابه المذكور[2].

جدول تناقض القراءة المعاصرة في فصْلِ (الآيات المحكمات) بآيات (القرآن)

	الآية المحكمة في القراءة المعاصرة	نوع الآية التي تسبقها	نوع الآية بعدها
1	﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ آل عمران 132	آية تفصيل ص 330	آية تفصيل ص 287
2	﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ المائدة 99	آيات تفصيل ص 385	آية تفصيل ص 217
3	﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ الفاتحة 5	ليس قبلها غيبيات	بعدها دعاء وليس غيباً

(1) الكتاب والقرآن، ص 160.

(2) توسعت في مناقشة هذه المسألة في الكتاب الثاني، ص 85.

	الآية المحكمة في القراءة المعاصرة	نوع الآية التي تسبقها	نوع الآية بعدها
4	﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ الأنعام 151 – 152	قبلها آية من الرسالة لأنها مستفتحة بالأمر ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾	آية تفصيل ص237
5	﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ الأعراف 33	آية من الرسالة لأنها مستفتحة بالأمر ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ﴾	﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾
6	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ النساء23 – 24	آية تفصيل ص 288	آية تفصيل ص 288
7	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ المائدة 3	آية تفصيل ص 384	آية تفصيل ص 307
8	﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ البقرة 275	آية تفصيل ص 367	آية تفصيل ص 328
9	﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ آل عمران 104	آية تفصيل ص 214	آية تفصيل ص 334
10	﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ الأعراف 199	آية تفصيل ص 265	آية تفصيل ص 218
11	﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الأعراف 42	آية تفصيل ص 264	﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾
12	﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ النور 56	آية تفصيل ص 225	آية تفصيل ص 272

	الآية المحكمة في القراءة المعاصرة	نوع الآية التي تسبقها	نوع الآية بعدها
13	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ البقرة 183	آية تفصيل ص 387	آية تفصيل ص 378
14	﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ آل عمران 97	﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾	آية من الرسالة لأنها مستفتحة بالأمر ﴿قُلْ﴾
15	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ البقرة 180	آية تفصيل ص 294	آية تفصيل ص 387
16	﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ المائدة 35	آية تفصيل ص 311	آية تفصيل ص 262
17	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ البقرة 216	آية تفصيل ص 296	آية تفصيل ص 392
18	﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ الأنعام 152	آية تفصيل ص 253	آية تفصيل ص 237

وبهذا يَظهَرُ أن هذا الإعجاز الأكبر إعجاز نظري خيالي نقَضَه المهندس بنفسه في التطبيق العملي، وأثبتَ أن آيات الأحكام لم تُفْصَل آيةٌ منها بآيةٍ من آيات (القرآن)!

ويظهر أيضاً أن هذا الإعجاز في الحقيقة هو إعجاز للمهندس عن إثبات سلامة الآيات المحكمات من التزوير! فقد انتقض دليله على مَنْعِ وقوع التزوير في هذه (المحكمات) وزعم من قبل أنه ليس فيها إعجاز. فأوقع نفسه في العجز بهذا الإعجاز الذي اخترعه ليعجز به المنكرين والمكذبين!!

دعونا لا نيأس فقد تبقى لنا أمل بتحقق هذا الإعجاز الأكبر في آيات القسم الثاني وهو (آيات القرآن). ونوضح في عنوان بارز.

الإعجاز الأكبر في آيات (القرآن) بنظرية (التشابه)[1]:

يجب أن تقدر الزاوية المحرجة التي يقع فيها المهندس حتى تفهم حاجته إلى مخرج جديد يسميه الإعجاز الأكبر! من الخطوة الأولى التي فرق فيها بين (القرآن) و(الكتاب)، وادعى أن (القرآن) هو الحق، وأن (الآيات المحكمات) ليست حقاً ولا إعجاز فيها.

هنا سيرد عليه اعتراض بأن الإعجاز البلاغي لا يختص بآيات (القرآن) بل يشمل آيات التشريع (المحكمات)، وهذا مناقض لرأيه فيها! أمام هذا الإشكال قفز المهندس خطوة واسعة إلى الأمام تجاوز فيها الإعجاز البلاغي، وقدم إعجازاً بديلاً وسماه الإعجاز الأكبر، وقال: (سر الإعجاز الأكبر في القرآن وهو «التشابه».)[2] وهذا (التشابه) نظرية استحدثها المهندس، خلاصتها أن (القرآن) كما سبق في تعريفه تضمن جميع الحقائق والقوانين التي ينتظم بها الكون، لكن التعبير عنها كان بصيغة تتحرك وتتسع بحسب اتساع معارف البشرية، فكلما تقدم العلم واتسعت معارف الناس؛ صاروا أقدر على استخراج النظريات العلمية من القرآن.

يقول المهندس: (فالعلماء يستنبطون من القرآن نظريات علمية على مَرِّ الزمن، والصحابة فهموه حسب أرضيتهم العلمية، وبما أن معلومات الإنسان صاعدة إلى الأعلى بشكل دائم؛ فإنه على مر السنين سترى الأجيال معلوماتٍ جديدةً في القرآن لم تكن الأجيال السابقة تعرفها. وهكذا فحسب نمو المعرفة الإنسانية تتولَّدُ المعلومات الجديدة والنظريات الجديدة، والنص القرآني يستوعبها كلها).[3]

فالإعجاز يكبر ويزداد بحسب اجتهاد العلماء الراسخين استخراج النظريات العلمية من القرآن، يوضح ذلك المهندس فيقول: (وهنا يجب أن نفهم أن الراسخين في العلم هم مجموعة كبار الفلاسفة، وعلماء الطبيعة، وأصل الإنسان، وأصل الكون،

(1) توسعت في مناقشة هذه المسألة في الكتاب الثالث، ص 165.
(2) الكتاب والقرآن، ص 187.
(3) الكتاب والقرآن ط 5، ص 90-91.

وعلماء الفضاء، وكبار علماء التاريخ مجتمعين... والراسخون في العلم مجتمعين يؤولون حسب أرضيتهم المعرفية، ويستنتجون النظريات الفلسفية والعلمية).[1]

وأظن أنه صار واضحاً أنه بنى هذا النظرية على وَهْمِهِ في تعريف القرآن وتَصَوُّرِهِ وتشبيهه للكون بمشروع هندسي أو صناعي يُدار من لوحة التحكم هي اللوح المحفوظ، والقرآن برنامجه التشغيلي.

لكن دعونا من مقاطعته حتى ننتقل إلى التطبيق العملي لهذا الإعجاز الأكبر. فالمهندس صرح لنا بمنهجه، وقال:(مبادئ منهجنا المعاصر في فهم نصوص التنزيل الحكيم ذات أرضية علمية ولها مصداقيتها في التطبيق).[2]

في التطبيق العملي يفترض أن نذهب إلى أولئك الراسخين في علم الفيزياء والفلسفة ممن يسير على طريق هيجل وأنشتاين وداروين، وأن ندعوهم إلى استنتاج القوانين والنظريات والحقائق العلمية من هذا القرآن الحق الساحق الماحق.

لكننا لما وصلنا إلى هذا التطبيق العملي وجدنا المهندس ينقلب علينا وعلى إعجازه الأكبر! ويخبرنا أن القرآن لا تقوم به الحجة إلا على المؤمنين به، وبعد سطر واحد من حديثه السابق عن مبادئ منهجه يقول: (إن آيات التنزيل الحكيم عبارة عن نص إيماني وليست دليلاً علمياً، بحيث يمكن إقامة الحجة بواسطتها على أتباع المؤمنين بها فقط، وأما على غيرهم فلا يمكن! وعلى أتباع الرسالة المحمدية المؤمنين بالتنزيل الحكيم أن يوردوا الدليل العلمي والمنطقي على مصداقيتها.)[3]!!

أين الحديث عن أوصاف هذا القرآن الحق الساحق الماحق؟!

أين الحديث عن هذا الإعجاز الأكبر الذي تقوم به الحجة على العرب وعلى غيرهم من الأقوام (كلٍّ في لغته، العربي بالعربية، والفارسي بالفارسية، والإنكليزي بالإنكليزية، وهكذا دواليك.)[4]

(1) الكتاب والقرآن، ص 192.
(2) دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم، ص 19.
(3) دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم، ص 20.
(4) الكتاب والقرآن، ص 188.

أليس هؤلاء هم الراسخون الذين قال الله فيهم: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (فصلت 53)؟

ولا ننسى أن المهندس جعل هؤلاء العلماء هم المعنيين بقول الله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ (العنكبوت 49). فلما وصلنا إلى التطبيق العملي لم تعد آيات بينات ولا دليلاً علمياً! وصار على المؤمنين بها أن يثبتوا مصداقيتها! من أين نأتي بهذا الدليل والمصداقية إذا لم تُبقِ لنا إعجازاً أكبر ولا أصغر؟ من أين بعدما سلمنا لك أن الآيات المحكمات تقبل التزوير وليس فيها إعجاز. وسلمنا لك بأن الإعجاز الأكبر يغني عن الإعجاز البلاغي! فإذا نقضت الأكبر والأصغر فهذا يعني أنك أصبحت أنت العاجز! وانقلب الإعجاز من كونه إعجازاً للكفار إلى إعجازك عن نفي وقوع التزوير في الآيات المحكمات وإثبات مصداقية القرآن به!

ما رأيت أعجب من رجل أراد أن يثبت الإعجاز فأثبت العجز!

اضطرابه وتناقضه في مفاتيح فهم كتاب الله

بعدما وضعت هذا العنوان استعرضت في ذهني كثرة التناقضات في فكر شحرور. أجريت عملية بحث عن مفردة (تناقض) في سلسلة نقدها. فكانت النتيجة 366 مرة!! أعلم أن هذا العدد لا يعني أن المهندس وقع في مثل ذلك من التناقضات، ولكنه على أي حال يحمل إشارة يمكن التحقق منها بالرجوع إلى السلسلة.

وتحت هذا العنوان سأختار بعض الأمثلة لتناقضات خطيرة لسببين:

السبب الأول: لأنه تناقض في الآيات التي جعلها مفاتيح لفهم كلام الله، فإذا تناقض في المفاتيح؛ فسوف يتضاعف التناقض فيما انفتح بها.

السبب الثاني: أن هذا التناقض وقع في صلب قراءته المعاصرة التي بناها على التفريق بين الكتابين، وذكر أنه أصيب بالرعب ولم ينم ستة أشهر لما اكتشف الفرق! ولكنا في نهاية الأمر نرى أنه يخلط بين الكتابين، وهذا من أظهر الأدلة على زيغ رؤيته التي وضعها في عنوان كتابه (الكتاب والقرآن رؤية جديدة)!

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ (البقرة 2).

1 - قال المهندس (« ذلك الكتاب» يعني المصحف كله).[1]

ثم انقلب على رأيه في هذا الكتاب وتعيينه،

2 - **وقال:** (وضع اسم الإشارة «ذلك» للبعيد إشارة إلى الذي جاء به الرسل الثلاثة على اختلاف نسخه وصولاً إلى النسخة النهائية التي جاءت للرسول محمد (ص).)[2]!!

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ (الأنعام 155).

(1) الكتاب والقرآن، ط 2، ص 56.
(2) أم الكتاب وتفصيلها، ص 181.

1 – تحت عنوان (**القرآن هو الكتاب المبارك**) **قال**: (البركة في اللسان العربي تعني التكاثر والتوالد، وتعني الثبات... لذا قال عن القرآن: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾.[(1)]

2 – لكنه سَيَعْكِسُ تفسير الكتاب فيها، فَيَجْعَلُه كتاب الرسالة ويأتي بالأدلة على ذلك!

فيقول: (﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ تتحدث هذه الآية عن كتاب الرسالة، لهذا تحثُّ على اتباعه).[(2)]

وبهذا يظهر اضطرابه وتناقضه في مفاتيح فَهْم القرآن. فمرَّةً يكون (الكتاب المبارك) هو (القرآن)، ومرَّةً يصبح (كتاب الرسالة)!

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾ (الأعراف 52).

في موضع يستدل بها على (الكتاب المحكم)[(3)]، وفي موضع يصرفها إلى الكتاب الآخر (القرآن)! ويقول: (إن الكتاب الذي تتحدث عنه هذه الآية هو القرآن).[(4)]

لا ريب أن هذا الاضطراب ليس تطوراً ولا تطويراً، فلا تزال الأدلة التي استدل بها على هذين الضدين قائمة على حالها، ولا يمكن لنا أن نحكُم على أحد الضدين بالخطأ، لسبب بريء؛ وهو أننا لم نسمع من قبل بأحد الكتابين المذكورين! وإذا كان هذا هو حال القراءة المعاصرة في مفاتيح فهْمهما فكيف سيكون حالها إذا استخدمتْ هذه المفاتيح المتناقضة!

وإن من تمام العجب أن يقضي الدكتور سنوات طويلة في دراسة استعمال (الكتاب) في كلام الله ثم يخرج بهذا التناقض الصريح!

---

(1) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 96 – 97.
(2) أم الكتاب وتفصيلها، ص 139.
(3) تجفيف منابع الإرهاب 350. ودليل القراءة المعاصرة 65.
(4) أم الكتاب وتفصيلها، ص 140.

لماذا لا تقدر جهود رجل قضى من عمره خمسين عاماً في تدبر القرآن الكريم

تدعيمُ القراءة المعاصرة بالحديث عن عُمُرِها الطويل وجهودِها الواسعة[1]:

يَتَكَرَّرُ حديث المهندس عن العمر والوقت الطويل الذي قضاه في هذه القراءة المعاصرة ومسائلها، فَيَسْتَفْتِحُ السطورَ الأولى مِنْ كتابِهِ الأولِ بقوله: (تَبَيَّنَ لي بعد ربع قرن من البحث الدؤوب والتفكر الطويل والتأمل الواعي أننا نحن المسلمين مأسورون لِمُسَلَّماتٍ قد يكون بعضها معكوساً تماماً).[2]

يقول في مقدمة كتابه (النبأ العظيم): (لقد وضعتُ نُصْبَ عيني خلال ما يقارب الخمسين عاماً مِنْ دراسةِ التنزيلِ قولِهُ تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[3]

ويتحدث في ثنايا الكتاب ومسائله عن الزمن الطويل الذي استغرقه في التفتيش عن الفوارق بين المفردات، فقد قضى في البحث ستة أشهر حتى اهتدى إلى الفرق بين (جاء) و(أتى)، ومن المؤسف أنه توصل بعد هذا الجهد إلى الوهم[4]، وقضى ستة أشهر في التفريق بين النبأ والخبر، وتوصل إلى أوهام واضطرابات تبدأ من أول سطر في كلامه![5]

ولا نُنْكِرُ حديثَ الكاتبِ عن جهوده في بَحْثِهِ، لكنا نَرْفُضُ استثمارَ هذا الحديث وتوظيفَهُ في إكسابِ القراءةِ المعاصرةِ هيبةً ومشروعيةً على حساب الموضوعية، ولا ريب أن عُمُرَ هذه الجهود قصيرٌ جداً، ولا يكفي لاعتبار القراءة المعاصرة ناسخةً للموروث الفقهي وكُتُبِ التفاسير، فإذا قَدَّرْنَا الأعمارَ التي صُرِفَتْ في الجهد

(1) توسعت في مناقشة هذه المسألة في الكتاب الأول، ص 568.
(2) الكتاب والقرآن، ط 5، ص 29.
(3) النبأ العظيم، 1/ 9.
(4) انظر نقد هذا الوهم في تفريقه الذي استغرق من عمره ستة أشهر في الكتاب الأول من السلسلة، ص 503.
(5) انظر نقد هذا الوهم في تفريقه الذي استغرق من عمره شهوراً في الكتاب الأول من السلسلة، ص 111.

المنسوخ، ثم قارنَّاها بِعُمُرُ القراءة المعاصرة، فسوف يكون نِسْبَتُها كَلَحْظَةٍ في عُمُر الموروث. بل لو قارنَّا عُمُرَها بعُمُرِ شيءٍ مِنْ كُتُبِ التراث لوجدنا فارقاً عظيماً. فَلْنَفْتَرِضْ أنَّ تلك الجهود تَفْقِدُ صلاحيتَها كما تَفْقِدُها الموادُّ الغذائية، وَلْنَكْتَفِ بمقارنةِ عُمُرِ القراءةِ المعاصرةِ ببعضِ الجهودِ المعاصرةِ.

فَمِنْ ذلك تفسيرُ«التحرير والتنوير» للطاهر ابن عاشور رحمه الله قال في آخره: (فكانتْ مُدَّةُ تأليفِهِ تِسْعَاً وثلاثينَ سنةً وستةَ أشهر).[1]

ومنها كتاب (أحكام القرآن) المنشور في ثمانية عشر مجلداً، واستغرق تأليفه ثلاثاً وثمانين سنة. شَارَكَ في تأليفه خمسةٌ مِنْ علماء العصر.[2]

ومنها كتاب «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» الذي استغرق تأليفه حوالي (35) عاماً.[3]

ولا ريب أن الاقتصار على هذه الأمثلة لا يكفي لمعرفة حجم القراءة المعاصرة بالنسبة إلى حجم تراث الأمة في الفقه والتفسير.

وأكاد أَعْجَزُ عن التعبير وأنا أَسْتَحْضِرُ تراجم العلماء في طبقات الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة مع طبقات الأصوليين والمفسرين، ثم أَسْتَحْضِرُ دعوى المهندس أن قراءته المعاصرة تَنْسَخُ جهود أولئك أجمعين! ولا يمنعنا من قبول هذا البديل إلا ما أثبتناه فيه بالأدلة والأمثلة من فراغات واضطرابات وتناقضات، مع جملة من الاعتراضات التي نرجو بفارغ الصبر أن يحل المهندس إشكالها.

(1) التحرير والتنوير، 30/ 636.
(2) وهم ظَفَر أحمد العثماني، وجميل أحمد التهانوي، والمفتي محمد شفيع، ومحمد إدريس الكاندهلوي، وعبد الشكور الترمذي. انظر مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (المجلد 37 – العدد 1) – 1440 هـ / 2019 م، مجلة علمية محكمة، جامعة قطر.
(3) للباحث المحقق محمد عبد الخالق عضيمة الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية لعام 1403 هـ، انظر تكملة معجم المؤلفين، ص509.

إسقاط مقاصد الإسلام والقيم والضروريات

الإسلام يمثل كمال الدين والشرائع السماوية. تتكامل أركان العقائد فيه بالأخلاق والقيم، وتتكامل تشريعاته بالمحافظة على الضروريات التي لا يستغني عنها الإنسان في حياته، ويسميها العلماء المقاصد الخمسة، وهي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال. وقد استقرأ الفقهاء أحكام الإسلام فوجدوا أن كل تشريع في الإسلام لا بد أن ينتهي ويقصد إلى المحافظة على هذه الضروريات. ولذلك تسمى (الكليات).

وقد رأينا ماذا فعل المهندس في أركان العقائد وأركان العبادات، ووصلنا هنا إلى متابعة مسيرة الهدم والإسقاط والتفكيك إلى مقاصد الإسلام والقيم والضروريات، ويصرح المهندس ويكرر في كتبه[1] وحواراته[2] فيقول:

(أصبحنا نرى مصطلحات تقوم عليها حياة العرب الاجتماعية والأخلاقية حتى يومنا هذا. هذه المصطلحات هي: الشرف / العِرض / النخوة / المروءة / الشهامة. وهي مصطلحات لا نجدها أبداً في التنزيل الحكيم، لأنها مفاهيم محلية، زمانية ومكانية...ولو أخذنا هذه المصطلحات بمفهومها العربي، وحاولنا تطبيقها أو بحثنا لها عن مقابل عند الصيني والياباني والألماني، فلن نجد لها أثراً، ولتعرضنا للضحك والسخرية. وبما أن الرسالة المحمدية رسالة إنسانية عالمية، فنحن لا نجد أثراً لهذه المصطلحات في التنزيل)[3].

أعترف أني أصبت بصدمة وأنا أقف على هذا الإسقاط للقيم والضروريات. استفزني أنه أعاد أربع مرات وصْفها بأنها مصطلحات! بل أضاف أنها مصطلحات

(1) أم الكتاب وتفصيلها، ص 110.
(2) https://youtu.be/76sGY - GZjcA
(3) نحو أصول فقه جديدة، ص 359.

محلية تثير سخرية الصيني والألماني، وأعاد مرتين أنه لا يجد لها أثراً في القرآن الكريم!! ويقول لمحاوره[1]: (افتح المصحف وأخرجها لي)!

إن هذا الخطاب يدل على حرفية خاوية وانفصال تام عن قيمنا الاجتماعية، بل يدل على انفصام تام عن القيم التي رفع القرآن من شأنها فلم يجد لها المهندس أثراً.

سأفتح المصحف ولكن لن أفتش فيها عن مصطلحات! ولن أبحث فيه بحثاً حاسوبياً عن مفردات (الشرف والعرض والنخوة والشهامة).

إن الإسلام رسالة عالمية ولأجل هذه العالمية راعى القرآن أن قيم الشرف والعرض عندنا تثير ضحك الألماني فالشرف عند الألماني إتقانه لعمله! ولذلك لم يترك القرآن أثراً لذكر الشرف والعرض!!

هذا التعليل يدل على واحدة من اثنتين. أن المهندس لا يعرف القرآن، أو لا يدرك معنى القيم!

فالقيم جمع قيمة، وهي المقوِّم والضابط والمعيار لما سواها، فالذهب يتخذ معيارًا يُضبط وتُقوَّم به الأثمان المادية، والقيم أمهات الأخلاق التي تَقُوم عليها حياة الإنسان وتُقوَّم بها الأثمان والأقدار المعنوية، فالحياة عزيزة نفيسة لكنها تنقلب رخيصة بقِيَم الفداء والغيرة على الدين والحرمات.

ولأجل ذلك يضحك الألماني من قيمنا وشرفنا وأعراضنا لأن هذه القيم مختلة في أعرافه. في ألمانيا مجلس يتكون من مجموعة ونخبة من الحكماء، ويسمونه «مجلس الأخلاقيات»، من أهدافه أن يرجعوا إليه في ضبط القيم التي كان يضبطها الدين. وفي حادثة مشهورة أثارت جدلاً واسعاً في ألمانيا؛ أنجب ألماني من أخته أربعة أطفال، فأمرت المحكمة الجنائية بعقابه. إذا خطر ببالك أن الحكماء في مجلس الأخلاق هم الذين حكموا أو أوصوا بمعاقبته فأنت واهم، ولعلك نسيت حديث شحرور عن شرف الألماني في إتقانه للعمل. والحكماء في مجلس الأخلاقيات اقترحوا تغيير القانون، ويقول نص الخبر: (مجلس الأخلاقيات الألماني يقترح رفع التجريم عن

(1) https://youtu.be/76sGY - GZjcA

«زنا المحارم» بين الأخوة حين يكون الطرفان راشدان يمارسان الجنس بالتراضي. واعتبر مجلس الأخلاقيات أن «حماية تابوهات اجتماعية» و«إقامة حواجز أخلاقية» ليست من اختصاص القانون الجنائي، وأضاف أن معاقبته تتنافى مع حق «تقرير المصير فيما يخص الجنس)!!(1)

ماذا يضرنا أن يضحك الألماني على قيم الشرف والعرض! وهل كتم القرآن الحديث عن الشرف والعرض مراعاة لشرف الياباني والألماني!

وهل يخطر ببال مسلم أن يفتح المصحف ليفتش عن مفردات ومصطلحات وضعها المهندس بين قوسين (الشرف، العرض..)؟!

الذوقيات والوجدانيات والقيم معان نبيلة لا تدرك بما تدرك به الألفاظ والمصطلحات.

انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ..﴾ (القصص 23، 24).

هل ترى أثراً لمصطلح الشرف والعرض في هذه الآية؟! هناك سر وذوق في قوله ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ﴾، ومثله في تثنية الحوار والخطاب ﴿خَطْبُكُمَا، قَالَتَا﴾، وفي نهاية الأمر ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا﴾، وهناك سر وذوق ظاهر في قوله تعالى: ﴿تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾، لكن هذه الأسرار لا يدركها من يظن أن الشرف والعرض والقيم مصطلحات.

يحتاج إلى تعريف بالقرآن والشرف والعرض من لا يجد أثراً لهذه القيم في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ (سورة النور4).

(1) هل تتجه ألمانيا نحو إلغاء معاقبة «زنا المحارم» بين الأخوة والأخوات؟ (france24.com)

إذا خاطب أحدهم مسلمة بكلمة واحدة تمس شرفها فعقابه عقاب جسدي ونفسي ومعنوي، فيجلد ثمانين جلدة، وتسقط عدالته، وترد شهادته، ويحكم بفسقه. كل ذلك لأنه اتهم مسلمة في شرفها، لا بل يتوعد الله أمثاله ممن لا يدرك غيرة الله على المسلمات اللواتي وصفهن بأوصاف من أجمل ما يدل على كمال الشرف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (سورة النور).

يحتاج إلى تعريف بالقرآن والشرف والعرض والنخوة والغيرة من لا يجد أثراً لهذه القيم في ما فرضه الله على نساء النبي عليه الصلاة والسلام. لماذا حرم الله الزواج من نساء النبي؟

ماذا نسمي المقصد الإلهي من اعتبار هذا الزواج إيذاءً وعظيماً عند الله ؟ وماذا نسمي المقصد من تحذير المؤمنين مما يمكن أن يخفوه في سياق قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٥٤﴾﴾ (الأحزاب 54).

لماذا يضبط الرب سبحانه أنظار الخلق إلى نساء النبي عليه الصلاة والسلام، فلا يأمرهن باللباس الساتر فحسب، بل يزيد على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ﴾؟ لماذا لا يكتفي الرب سبحانه بضبط الأنظار ويضبط بعدها مجرد الخاطر الذي يمكن أن ينبعث في القلوب في قوله: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾﴾ (سورة الأحزاب 32)، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ (سورة الأحزاب 53).

ماذا أراد الله بهذه الأحكام كلها؟

يحتاج إلى تعريف بالقرآن والشرف والعرض والنخوة والغيرة من لا يجد أثراً لبيان مراد الله الذي صرح به في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾﴾ (سورة الأحزاب 33).

من يعيب علينا الشرف والعرض والغيرة يحتاج إلى تعريف بالقرآن الذي توعد من يحب أن تشيع الفاحشة فينا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ (النور19).

من يزعم أن الشرف والعرض مفاهيم محلية ليست إنسانية؛ عليه أن يتدبر أصل الشرف والحياء في أصل الإنسانية في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ﴾.

من يزعم أن الشرف والعرض مفاهيم محلية ليست إنسانية عليه أن يتدبر خطاب وجهه الله للعالَمين أجمعين، أخبرهم فيه أنه نصب آية وعلامة على الشرف والعرض يراها جميع العالمين فلا يتوهم أحدهم أنها محلية زمانية.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ جعلها الله آية للعالمين أجمعين، لما كتب الله عليها أن تحمل بعيسى عليه السلام من غير أب ساق لها المبشرات ليسهل الله عليها هذا الامتحان، أرسل إليها الملائكة بالتبشير قبل التكليف: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾

بُشِّرت بالاختيار والاصطفاء وبولادة من اختاره الله ليكون من المرسلين والمقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين، بعد كل هذا التبشير لما أجاءها المخاض: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾.

الألماني النصراني إذا انحدر في تعيين شرفه فعلينا أن نذكره أنه من أولى الخلق بأم عيسى الطاهرة البتول عليها السلام.

ليس المقصود هنا أن نجمع الأدلة التي تثبت للمهندس أصالة قيم الإسلام ومقاصده؛ لأن الأدلة على ذلك تمتد إلى الإسلام كله، إنما المقصود أن نقابل استغراب تمسكنا بقيم الشرف والعرض والنخوة والكرامة والشهامة باستغراب أكبر!

إن كل مسلم يستغرب ويستقبح غاية القبح ما يصدر عن المهندس معارضاً لقيمنا وأذواقنا مما سنضرب أمثلة لها:

1 - اجتهد المهندس في حل لمشكلة الزوج إذا كانت امرأته عاقراً، فأجاز له يودع النطفة منه في رحم أمه أو أخته! فتلد له أمه أو أخته!! يقول: (...ونفهم من هذا كله، أن الأم الحاملة الحاضنة للجنين، يمكن أن تكون أي امرأة أخرى لا على التعيين، حتى لو كانت من أقارب الزوج (أمه أو أخته)).[1]

عندما يصل الحديث عن أم تلد لابنها؛ فلا بد أن نتيقن أننا غرباء أمام هذا الحديث. من يجيز أن تحمل المرأة من أخيها وابنها لا بد أن يقف بعيداً عنا أو نقف نحن بعيداً عنه! هذا لا نرضاه حتى لأوربي لا نقترحه حتى لملحد، هل ضاقت أرحام النساء فلم يبق إلا رحم أمه!! من أين أتي شحرور بهذه السعة؟!

2 - اجتهد في حال كون الزوج عقيماً، فقال: (لدينا الحلول التالية: أن يؤخذ حيوان منوي من ذكر مجهول غريب).[2]

ما أقبحه من حل! العقم ابتلاء والصبر على هذا الابتلاء أحب على المسلم من حمل امرأته من رجل مجهول أو غير مجهول! ولو رأى مسلم رجلاً عقيماً يداعب طفلاً ولدته امرأته من رجل مجهول لحمد الله على نعمة العقم في الإسلام.

3 - ولأن هذه القيم في رأي المهندس مصطلحات مجردة ومفاهيم بدوية محلية يأتي المهندس بالعجب في هذا الباب، فيتأسف على حال المرأة إذا دخلت الجنة ولم

(1) الإسلام والإيمان، ص 307.
(2) الإسلام والإيمان، ص 309.

يعترف الفقهاء بحقها في مجامعة رجلين!!فيقول: (والحور العين للرجال فقط. ولا ندري ماذا تركوا للمرأة في الجنة؛ إذ لا يليق بها أن تنام مع رجلين؟)[1] نعم يليق بامرأة أن تتشوق إلى مجامعة رجلين إذا تلوثت فطرتها بالقراءة المعاصرة.

4 - إذا كان العرض والشرف والنخوة مصطلحات مجردة؛ فلا نستغرب رأي شحرور في تعري المرأة أمام أبيها وأخيها وابنها؛ فلا يجب عليها إلا أن تستر ما بين الثديين وتحت الثديين وتحت الإبطين والفرج والأليتين!! ويقول: (ولكن تلبس أمامهم من باب العيب والحرج، لا من باب الحرام).[2]

(1) الكتاب والقرآن، ص361.
(2) المرجع السابق، ص365.

في الختام

الجديد الذي يُقَدِّمُهُ المهندس ليس تجديداً، بل هو بديلٌ جديدٌ شاملٌ يَهْدِمُ التصوَّرَ السائدَ الذي يعرفه المسلمون عن دينهم وهدم شامل لإرثنا الحضاري كله، لم يجرؤ صليبي ولا مستشرق ولا أحد من أعداء الدين ونقاده على مثل هذا الهدم الشامل!

وفي مثل هذا التجديد يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي: «إنَّهم يريدون أن يجدِّدوا الدين واللغة والشمس والقمر!!»، ويقول الشاعر محمد إقبال بقوله: «إنَّ جديدهم هو قديم أوربا»، ويقول: «إنَّ الكعبة لا تُجدَّد، ولا تُجلَب لها حجارةٌ من الغرب!».

لذلك أقول بكل وضوح:

بعد كل ما رصدناه من الخلاف مع شحرور في الإسلام ككلٍ، وفي أركان الإيمان، وأركان العبادات، وفي أصول القيم والأخلاق إلا أنني أتفق معه في نقطة جوهرية.

أتفق معه في نقطة أختم بها وأستعيرها من أول حروفه في مقدمة كتابه: (لو رسم إنسان صورةً لوجه من مرآة (أي رسم الوجه معكوساً) وقدمها إلى الناس؛ فإنه قد يراها ملايين الناس لمدة طويلة من السنين دون أن يلاحظوا أنها معكوسة)[1] ما أصدق هذا المثل الذي ضربه وفصله في عنوان كتابه (الإسلام الأصل والصورة).

أتفق معه أن أمامنا أصل وصورة، وأن شحرور يدعي أن ملايين المسلمين طوال قرون ينظرون إلى صورة معكوسة في المرآة، وأن ملايين المسلمين يدعون أن شحرور وحده هو الذي يُخيل إليه أنه ينظر إلى الأصل.

ولكن مع دعوى شحرور شهود يشهدون على رؤيته ويرحبون بتجديده، منهم رجال الكهنوت الإسماعيلي الباطنيون في لندن[2]، والشيوعيون الملاحدة الذين

(1) الكتاب والقرآن، ص 29.
(2) السيرة الذاتية – الموقع الرسمي | للدكتور المهندس محمد شحرور (shahrour.org)

نشروا له في صحيفتهم مقاله (آن الأوان لرفع الغطاء عن الإسلام الموروث)![1] وجميع المؤسسات الدولية الأمريكية والغربية التي ذكرها الدكتور شحرور في سيرته الذاتية![2]، وعلى رأسها مؤسسة (راند).[3]

(1) https://2u.pw/bz0JR5d

(2) https://2u.pw/KXzaqzB

(3) من المعروف أن مؤسسة راند تعنى بالبحوث والدراسات، تأسَّست عام 1948م، ولها علاقات تجمعها مع وزارة الدفاع الأمريكيَّة، وغالباً ما يتمُّ العمل بتوجُّهاتها بناء على التقارير التي تقدِّمها للولايات المتحدة. انظر المفهوم الأمريكي للاعتدال الإسلامي، (قراءة في تقرير راند 2007م)، باسم خفاجي. رابط المادة: http://iswy.co/e116v3.

RAWASEKH
رواسخ
دراسات • نشر • توزيع

وصية المرحوم

السيد سليمان السيد علي الرفاعي

غفر الله له ولوالديه ولذريته